

تأليف

محمد بن سلام الجمحي

١٣٩-٢٣١ هجرية

السفر الأول

قرأه وشرحه

أبو فهر

محمود محمد شاكر

الفِكْرُ حَبْلٌ، متى يُمسِكْ على طَرَفٍ ... مِنْهُ، يَنُطْ بالثُّرَيّا ذلكَ الطَّرَفُ

والعَقْلُ كالبَحْرِ، ما غِيضَتْ غَوارِبُهُ ... شيئاً، ومِنْهُ بنو الأيامِ تَغْتَرِفُ

أبو العلاء المعري

الناشر دار المدني بجدة

تليفون : ٦٧٠٠٧٨٨ فاكس : ٦٧١٣٤٢٤





مطبعة المدني
المؤسسة السعودية بمصر
٦٨ شارع العباسية - القاهرة . ت : ٨٢٧٨٥٠١


طبقات فحول الشعراء



فهرس بَابَاتِ المقدِّمة

٣٣ — بَابَةُ ترجمة أبي خليفة ، ومحمد بن سلام (٥)

الدليل على أن أبا خليفة عاش أكثر من مئة سنة — شيوخ ابن سلام في الطبقات — كتب ابن سلام

٣٨ — بَابَةُ نُسْخة أبي الفرج الأصبهاني من كتاب الطبقات (٦)

أسانيد أبي الفرج في الأغاني — مطابقة مافي الأغاني لما في المخطوطتين — ما زدته من الأغاني في الطبقات ، وعدد الأخبار — الزيادة عن الموشح للمرزباني ، وعن نهج البلاغة ، وعن تاريخ ابن عساكر — زيادات في التعليقات عن كتب أخرى — مقارنة بين طبقات الشعراء في كتابنا ، وفيما ذكره أبو الفرج — الخلل في كتاب الأغاني وتفسيره .

٥١ — بَابَةُ طبَعَات كتاب الطبقات (٧)

(١) طبعة يوسف هل — تلخيص مقدمة يوسف هل — تفنيد مافيها من الخلط — المواضع التي أدخل فيها أبو خليفة نفسه في الكتاب — شبهة يوسف هل عن كتاب الطبقات وتفنيدها — عبثُ عابثٍ في نسخة « م » أدخله يوسف هل في نص الطبقات — شبهة هل عن « المخضرمين » — تفسير لفظة « طبقة » و « طبقات » عند ابن سلام .

(٢) طبعتي الأولى ، وما فيها من العيوب — فضل الناقدين على عملي — سيرتي في قراءة الكتاب وشرحه .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله وحده لا شريك له ، أَحْمَده وأستعينُه وأستغفِرُهُ وأتُوب إليه ، وأعوذ به سبحانَه أن أغفُل عن ذِكر فَضْله ونِعَمه ، وأخشَع له — تعالى جَدُّه — رغبةً في زيادة أنالَها من إحسانِه ، ورَهْبَةً من مَعْصِية تَكسِبُني المَخُوفَ من غَضَبِه وخذلانِه . اللهمَّ إنّي لا أحصِي ثناءً عليك ، أنتَ كما أثنيتَ على نَفْسِك . اللهمَّ صلِّ على محمد صلاة طيِّبة نامِيةً زاكيةً مباركةً . اللهمَّ آتِ محمداً الفضيلةَ والوسيلةَ والدرجةَ الرفيعة ، وابعثْهُ مقاماً محموداً الذي وعدْتَه ، إنّك لا تُخْلِف الميعاد . صلّى الله عليه وسلم ، وعلى ملائكة ربّنا ورُسُله ، ومن تبعهم من الصِّدِّيقين والمتّقين .

* * *

عرفتُه في أوّل أيامي طالباً للعِلْم . كان رجُلاً بَرًّا نبيل النفس ، فوجدتُ من عطفه وكرمه ، ومن تأييده وحثِّه ، ما أعانني على أن أتزوّد من العلم ماشاء الله أن أتزوّد . لم يكنْ عالِماً ، ولكنّه كان يجمَع للعلماء أصولَ علمهم ، وينشرها بين أيديهم ، ويُغريهم بالحرص عليها . فقلَّ أن تجد عالِماً أو أديباً في زمنه ، لم يكن لهذا الرجل النحيف الضئيل الخافت فَضْلٌ عليه ، يذكره الذاكر محسناً في ذكره ، وينْساه النَّاسي مسيئاً في نسيانه . ذلك هو أمين الخانجي ، الكتبيّ ، الذي أحبَّ الكتاب العربيَّ كأنّه تُرَاث أبيه وأمّه .

ففي سنة ١٣٤٣ تقريباً (سنة ١٩٢٥ ميلادية) عاد السيد أمين من رحلته في العراق وغيره من بلاد العرب ، وقد جَمَع من نوادر المخطوطات شيئاً لا يقدّر بثمن ،

وكان من بينها صناديقُ فيها أوراق شتّى (دشت) . وذات يوم أقبلتُ عليه فى دُكّانه ، فإذا به يخرجُ لى ورقةً حائلة اللون ، وسألنى : أتعرف ماهذه ؟ فما كدتُ أقرأ منها أسطراً حتى عرفتُ أنها من كتاب « طبقات الشعراء » لأبى عبد الله محمد بن سلاّم الجمحىّ ، وكنت حديث عهدٍ بقراءة الكتاب . فاُستُطِير فرَحاً بما عرفَ ، وقمنا معاً إلى هذه الصناديق المبعثرة الأوراقِ ، نفرزُها ورقة ورقة ، يوماً بعد يوم ، حتى جمعنا من أوراق كتاب الطبقات قدراً عظيماً . فلما فرغنا ، أمرنى رحمه الله أنْ آخذها فأرتبها وأنقلها ، مخافةً عليها من مثل ما كانتْ فيه ، ومن عوادى البِلَى عليها ، إذ كانتْ عتيقة الورق . وفعلتُ مقصِّراً متراخياً ، فلم أتمّ نقلَها ، وبقيت بقيّةٌ من أوراق المخطوطة لم أنقلها ، وطال الزمنُ ، فسألنى السيد أمين رحمه الله ، أن أردّ إليه الأمّ العتيقة قبل تمام نقلها ، فرددتها إليه ، ولم أخبره بما كان منّى من التقصير والتراخى .

ودارتْ بى الأيّام ، وفارقتُ مصر فى سنة ١٣٤٧ (سنة ١٩٢٨) ، ثم عدتُ إليها ، وقد فَتَرَ مابينى وبين الكتب زمناً طَالَ وامتدّ . ثم لقيتُ أميناً رحمه الله ، فأخذ يستحثّنى أن أعيد النظر فى كتاب الطبقات ، حتى أستطيع أن أعدَّه للنشر ، فتراخيت ماتراخيتُ ، وهو يظنُّ أنى كنت قد فرغت من نقلها ، وأظنُّ أنا أنّ النسخة لم تزل فى حوزته. ثم قضى أمينٌ نحبَه فى يوم الجمعة ١٩ جمادى الأولى سنة ١٣٥٨ (٧ يولية ١٩٣٩) ، وقد جاوز السبعين من عمره ، غفر الله له ورحمه . لم يخبرنى أينَ استقرّت الأم العتيقة ، ولما سألتُ بعض ولده عنها ، لم أجد عند أحدٍ منهم خبراً عنها . ثم بدأتُ أبحثُ عنها فى مَظانّها من دور الكتب العامة والخاصّة ، فلم أعثر عليها حيثُ ظننتُ . وبقيت نسختى التى نقلتُها حبيسةً فى خزانة كتبى هذا الدهرَ الطويلَ ، حتى دعانى أخى الأكبر الأستاذ أحمد محمد شاكر ، رحمه الله ، إلى نشر هذه النسخة الناقصة، فاستجبتُ له، واستخرتُ اللهوتوكّلت عليه ، ثم بدأتُ ،

فشرحت كتاب الطبقات ، وفرغت منه ، وتولَّت « دارالمعارف » طبعه ، وكان الفراغ منه في عصر يوم الأربعاء ٢٠ من ذي الحجة سنة ١٣٧١ ، (١٠ سبتمبر سنة ١٩٥٢) .

وبعد ظهور الكتاب في الأسواق ، وبعد إهدائي نسخة منه إلى شيخنا وأستاذنا عبد العزيز الميمني الراجكوتي أطال الله بقاءه ، مَضى زمنٌ طويل ، ثم جاءتني منه رسالةٌ يذكُر فيها أنه قرأ في إحدى مجلات المستشرقين ، مقالة للأستاذ آربري المستشرق ، فيها قراءة جديدة لكتاب الطبقات ، توشك أن تكون شبيهةً بنسختي التي نشرتها من كتاب ابن سلام . فلما اطلعت على المجلة ، أيقنتُ أن هذه النسخة التي أشار إليها آربري هي نسختي التي فقدت خبرها بموت أمين الخانجي. فبادرت وراسلت صديقنا الدكتور محمد رشاد سالم ، وكان يومئذ تلميذاً لآربري في إنجلترا، وسألته أن يوافيني منها بصورةٍ ،وعلمتُ أنها في مكتبة «تشستر بتي» فجاءتني المصوّرة، فإذاهي هي نسختي ، وعليها خطّي وتوقيعي، كما أشرت إليه في التعليق رقم : ٣ ص : ٢٠٤ ، فحمدتُ الله ، وسألته أن يردّ غُرْبة هذه النسخة التي رمتها المقادير إلى بلاد الأعاجم .

ومنذ وصلتني هذه النسخة المصورة ، جعلت همّي أن أعيد طبع الكتاب تاماً، وكان من فضل الله عليّ أن ظفرتُ أيضاً بصورة أخرى لنسخة المدينة ، شرفها الله وصلّى على ساكنها صلاةً طيبة مباركة . وظلّ العزمُ كامناً حتى أذن الله ، فتهيأ لطبع كتاب الطبقات مرة أخرى ، على وجهٍ يُرضيني بعض الرضى ، والحمد لله أوّلا وآخراً .

* * *

١ — بابَةُ المقارنة بين المخطوطتين

١ ـ المخطوطة الأولى ، وهى نسختى التى آلت إلى مكتبة « تشستر بتى » والتى جعلتها أصلاً ، وأشرت إليها فى تعليقاتى باسم : « المخطوطة » .

من فضائل هذه النسخة أنّ كاتبها قد كتب على كُلّ ورقةٍ تعدادها بالأرقام ، وابتدأ تعداده بعد الورقة الأولى التى فى وجهها عنوان الكتاب ، وفى ظهرها أوّلُ كتاب الطبقات ، بدأ برقم (١) وانتهى إلى رقم (١١١) ، ولكنه سَهَا فكرّر رقم (٤٢) مرتين ، فكان ينبغى أن ينتهى برقم (١١٢) ، وبذلك يكون عدد أوراق النسخة (١١٣) ورقة ، بخط كاتبها ، ثم ورقة أخرى بعد ذلك ، فيها بعض أخبار ، بخط مختلف أحدث من خط كاتبها ، فعدد أوراقها كاملة (١١٤) ورقة . بيد أن الباقى عندنا من هذه النسخة تسع وستون ورقة (٦٩) ، وفى وجه الورقة الثامنة والستين (٦٨) أربعة أسطر هى آخر نص كتاب الطبقات ، أى ثلاثة أخماس أصل الطبقات على وجه التحقيق . وإليكَ بيانَ مواضع الخرم فى هذه النسخة ، على تعداد كاتبها المثبت فى الركن الأعلى الأيسر من وجه كُلّ ورقةٍ :

١ — ٦

٨ — ١٤ (خرم ورقة واحدة)

٢٢ — ٣٠ (خرم سبع ورقات)

٣٢ — ٣٧ (خرم ورقة واحدة)

٤٢ — ٤٨ (خرم أربع ورقات) ، والورقة (٤٢) مكررة فى التعدادِ

٦٤ — ٦٩ (خرم خمس عشرة ورقة)

٨٢ — ٨٣ (خرم اثنتا عشرة ورقة)

٨٨ — ٨٩ (خرم أربع ورقات)

٩١ — ١١١ (خرم ورقة واحدة)

فعدد الأوراق المفقودة من أصل الطبقات : خمس وأربعون ورقة (٤٥) . وقد أثبت فى هامش هذه الطبعة تعدادَ هذا الأصل العتيق .

٢ ـ أما المخطوطة الثانية ، فهى المحفوظة بمكتبة عارف حكمة ، بمدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهى التى جعلت الإشارة إليها فى تعليقاتى بحرف « م » .

وليس على أوراق هذه النسخة تعدادٌ ، وعدد أوراقها أربع وسبعون ورقة (٧٤) ، وفيها خَرْمان : أوَّلهما بين الورقة الثامنة والتاسعة : يبلغ نحو ست ورقات أو ثمان ورقات ، وقد أشرت إليه فى هذه الطبعة ص : ٧٠ ، تعليق : ٣ ، والآخر بين الورقة الخامسة والأربعين ، والسادسة والأربعين ، ولم أستطع تقدير هذا الخرم ، كما أشرت إليه فى ص: ٤١٥ ، تعليق رقم : ٣ من هذه الطبعة ، ولكنه صار مرجحاً عندى الآن أنه ورقة واحدة لا أكثر ، فكأن أصل عدد أوراقها على الأكثر ثلاث وثمانون ورقة (٨٣) . وفيها أيضاً بَتْرٌ فى أثناء الكلام ، كأنه سهو من كاتب النسخة ، ولكنه لا يزيد على بضعة أسطر ، وأشرت إليه فى ص : ٤٧٩ ، تعليق : ١ . وفى هذه النسخة ورقتان فيهما فهرس لشعراء الطبقات بخط مُحْدَث ، وفى الورقة الأخيرة منها ، دعاء كتبه من قرأ هذه النسخة أو تملكها ، بخط مخالف لخط الأصل ، فصار الباقى من أصل الطبقات إحدى وسبعين ورقة (٧١) ، ثم تسعة أوراق مفقودة .

* * *

وقد قارنت بين خطّ النسختين ، فتبيَّن لى أن الصفحة الواحدة فى مخطوطتنا يقابلها من نسخة المدينة « م » مقدار صفحة وبضعة أسطر ، بل ربما بلغت أحياناً أكثر من صفحة ونصف صفحة . فإذا كان ما بقى عندنا من « المخطوطة » (٦٨) ورقة ، ومن نسخة « م » (٧١) ورقة ، فمن البيّن أنّ « المخطوطة » ، على ما فيها

من خرم بليغ ، تستوعب من نص كتاب ابن سلام ، أكثر مما تستوعبُ نسخة المدينة « م » تامّةً غير منخرمة . وإذا علمنا أن عدد الأوراق التى ضاعت من مخطوطتناهو خمس وأربعون ورقة على وجه الضبط ، فمعنى ذلك أن أصلها يوشك أن يكون ضعف نسخة « م » على قلة خرومها . وقد دلّت مقارنة النصّين على مقدار هذا الفرق البيّن بين النسختين فى ثنايا الكتاب كُلّه، وقد أثبتُ عند كُلّ موضع فى تعليقى على الكتاب ، مقدار ما أخلّت به نسخة « م » من الأخبار . وقد أفردتُ فى آخر هذه الطبعة من الكتاب ، ص ٩٨٨ ، ٩٨٩ ، بياناً بأرقام الفقرات التى أخلّت بها نسخة المدينة « م » ، وبياناً آخر بأرقام ما أخلّت به فى ثنايا الفقرات .

فصار يقيناً أن نسخة المدينة « م » ، نسخة مختصرة من كتابِ طبقات ابن سلام ، لايزيد ما فيها على نصف أصل كتاب الطبقات إلا قليلاً .

* * *

أمّا خَطُّ « المخطوطة » ، فهو خطٌّ مَشْرِقيٌّ واضحٌ قديمٌ ، يرتفع إلى آخر القرن الثالث الهجرىّ وأوّل الرابع ، وستأتى الحجُّة فى ذلك بعد قليل . وأكثر هذه النسخة مضبوطٌ بالحركاتِ ، وأملاؤها على الجادّة ، إلا فى شىء يسير ، نحو كتابته « ماذا » « ماذَى » ، ص: ٢٠ ، ٥٣ و«هكذَا » « هكذَى » ص : ٣٠ ـ و« كذا » « كذَى » ص : ٧٣، كُلّ ذلك بالياء، ومواضع أخرى أغفلت الإشارة إليها . ثم كتابته أيضاً : «معقود بقوافِ » « بقوافِى » ص : ٨ ، تعليق : ١ ـ «وصُمٍّ حَوامِ » « حوامِى »ص:٨٢ ، تعليق :٢ـ«فقدأتت ليالِ »« ليالِى» ص:١٩٣ ،تعليق : ٤ـو«وبادِ» «وبادِى» ص:١٩٨،تعليق: ٢ـو«هدانى هادِ » « هادِى » ص:٢٤٧ تعليق٤ـ« بازِ » «بازِى» ص:٤٦١،تعليق: ١ ـ و « وهو مُسْتَخْفِ » « مُسْتَخْفِى» ص : ٦٣٨ ، تعليق : ٤ ـ و« بصوتِ شَجِ » «شَجِى»

ص: ٦٦٤: س: ٩ ، ولم أشر إليه فى التعليق — كُلّ ذلك بكسرتين تحت الحرف الذى قبل الياء ، ومواضع أخرى كثيرة لم أتحرَّ الإشارة إليها . وفى آخر كُلِّ خبرٍ حرف « ه » مفرداً ، دلالة على انقضاء الخبر . وأما قوله « حدثنى » و« حدثنا » «أخبرنا» و « أنبأنا » ، فهو لايختصرها ، كما سترى فى نسخة « م » ، ولا يلتزم كاتبها بوضع علامة إهمال على الحروف : الحاء والدال والراء والسين والطاء والعين ، إلاّ فى بعض مواضع متفرقة من كتابته .

وأما « م » فخطُّها مشرقىٌّ فيه شبهٌ إلى المغربىّ واضح قديم أيضاً ، ربما ارتفع إلى أوائل القرن الخامس الهجرى أو قبل ذلك بقليل ، فيما أرجّحه ويرجّحه «معهد إحياء المخطوطات العربية » .[1] وأكثر النسخة مضبوط بالحركات ، وإملاؤُها على الجادّة ، وعند انتهاء آخر كُلّ حرف « ه » مفرداً ، وقليلاً ما تجد علامة إهمالٍ . وكاتبها يختصر « حدثنا » و « أخبرنا » وأخواتهما : « أنا » أو « نا » كما أشرت إليه فى هذه الطبعة ص : ٩٩ ، تعليق : ٢ . ولراويها خصائص أهل حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الدقة والأمانة والحرص على صيغة التحديث ، فهو يذكر التردُّد فى لفظ « التحديث » بين « أخبرنا » و« حدثنى » وأخواتهما ، فهو يقول مثلاً : « نا ابن سلام ، نا — أو حدثنى — ابن جُعْدَبة » ص: ٥٤٤ ، تعليق : ٤ ، ومثله فى ص : ٥٦٩ ، تعليق : ١ ، ومواضع أخرى أغفلت الإشارة إليها فى تعليقى على الكتاب .

وأغربُ ما اتفقت عليه النسختانِ جميعاً ، خطأً بيِّنٌ ، وذلك فى قوله : « لِمَنِ البَيْتانِ ؟ » ، ففيهما جميعاً : « لِمَنِ البيتَين ؟ » ، وهذا من غرائب الاتفاقِ على خطأ بيِّنٍ جدًّا ، فى كتابٍ واحد ، مع اختلاف رُواته ، واختلاف كُتّابه ، ومع تباعد زمن كتابته ، وغير ممكن أن يقال إنه خطأٌ من ابن سلام ، أو من

---

(١) انظر « بابة إسناد الكتاب فى المخطوطتين » ، ص : ٢٨ — ٣٣ .

راويته أبى خليفة ، ولكن كيف وقع الخطأ ، واتفق الكُتّاب على إثباته ؟ لا أدرى .

* * *

وليس فى هوامش « المخطوطة » شىء بغير خطّ كاتبها ، بل فيها لَحَقٌ بخطّه، استدراكاً لما سها عنه فى خلالِ كتابته فى مواضع يسيرةٍ . أما «م» ، فليس فى هوامشها شىء بخطّ كاتبها ، والذى فى هوامشها مكتوب كُلُّه بخطوطٍ مشرقية ، وقد أحدث فيها بعضُ من قرأها عبثاً من العبث القبيح ، فضرب على بعض نصّ الطبقات بخطّ ، وكتب شيئاً مرذولاً من عنده ، وتابعه عليه من نسخَ منها نسخة الشنقيطىّ المكتوبة سنة١٣٠٣هـ، ومن نسخ النسخة الأُخرى المكتوبة سنة ١٣١٠هـ، ونُشِر هذا العبث فى طبعة يوسف هل (١٩١٣ ـ ١٩١٦ م) ، وطبعة حامد عَجّان الحديد (سنة ١٩٢٠ م) ، كما سأذكر فيما بعد.[١] وانظر هذه الطبعة ص : ٢٤ تعليق : ١ ، وص : ٥٠ ، تعليق : ٢ .

هذا ، وفى هامش « المخطوطة » . فى آخر الورقة المعدودة بعدد كاتبها (٤٦) ما نصه : « عورض » ، أى أنه انتهى عند هذا الموضع المجلسُ الأوّلُ فى معارضة نسخته هذه بالأصل الذى نقل عنهُ ، وقد أشرت إلى هذا فى ص : ٣٢٤ ، تعليق: ٦ ، وكتب عند نهاية المجلس الثانى فى ظهر الورقة ٩٥ : « بلغت » ، أى بلغت المعارضة ص : ٦٦٣ ، تعليق : ٤ ، وكتب فى هامش آخر ورقة فى الكتاب (١١١) عند منتهى الكتاب ما نصّه : « قُوبل بالأصل فصَحّ » ، وهو نهاية المجلس الثالث فى معارضته ، وقد أثبت نصه فى ص : ٧٩٨ ، وهو آخر الكتاب . وليس فى آخر هذه « المخطوطة » اسم كاتبها ولا تاريخ كتابتها .

---

(١) انظر « بابة طبعات كتاب الطبقات » .

وأما « م » ، فليس فيها مايدلّ على معارضتها على أصلٍ ، وليس فى آخرها أيضاً اسم كاتبها ولا تاريخ كتابتها .

ويبقى شىء واحدٌ فى « المخطوطة » ، تحسن الإشارة إليه . فمن عند الورقة ٩٥ إلى الورقة ١٠٢ ، ترك الناسخ بياضاً فى مواضع من كتابته ، سأذكرها هنا ، أذكر صفحة المخطوطة ، وبين القوسين مايقابلها فى المطبوع : ظهر ٩٥ (ص : ٦٦٣ ، تعليق : ٥) / ٩٦ (ص : ٦٦٦ ، تعليق : ٣ ، وتعليق : ٤) / ظهر ٩٥ (ص ٦٧٠ ، تعليق : ٢ ، وتعليق : ٤) / ٩٧ (ص : ٦٧٤ ، تعليق : ٤ ، ٥ ، ٦ — ص : ٦٧٥ ، تعليق : ١) / ظهر ٩٧ (ص : ٦٧٥ ، تعليق : ١ ، ٤ — ص : ٦٧٨ ، تعليق : ٣) / ٩٨ وظهرها (ص: ٦٧٨ ، تعليق : ٣ — ثم ص : ٦٨٢ ، تعليق ، ١) / ٩٩ (: ٦٨٥ ، تعليق : ٥ — ص : ٦٨٧ ، تعليق : ٧ ، ٨) / ظهر ٩٩ (ص : ٦٨٨ ، تعليق : ١) / ظهر ١٠٠ (ص : ٦٩٤ ، تعليق : ٥ — وص : ٦٩٥ ، تعليق : ١ / ٢ ، ٢) / ١٠١ (ص : ٦٩٨ ، تعليق : ٦) / ظهر ١٠١ (ص : ٧٠١ ، تعليق : ٥ — ص ٧٠٢ ، تعليق : ١٠٤) / ١٠٢ (ص : ٧٠٥ ، تعليق : ٦ — ص : ٧٠٦ ، تعليق : ١) .

ولست أدرى لم كان هذا فى هذه الورقات السبع وحدَها ، دون سائر الكتاب؟ أ كانَ فى الأصل الذى نقل عنه هذا البياض ؟ فلم لم يُتِمَّه كاتبه وقد قابله وعارضه ، وكأنه اطلع أيضاً على نسخة الطبرانى ؟ وجاء بعده من قرأ هذه النسخة ، وأثبت عليها قراءته سنة ٣٧١ ، كما سيأتى ، فلم لَمْ يتمّ هذه النسخة التى بين يديه ، وقد قرأه على نسخة أخرى سمعها عن أبى نعيم ، عن صاحب هذه النسخة فيما أرجّح ؟[1] لا أدرى كيف حدث هذا ، ولم ؟

* * *

(١) اقرأ « بابة إسناد الكتاب فى المخطوطتين » .

٢ — بَابَةُ الصفحة التى فيها عنوان الكتاب

قد صوّرت الصفحة الأولى من النسختين ، فى الأوراق المصورة الملحقة بهذه المقدمة ، بيد أن التصوير مع الجهد فى توضيحه ، لايكشف كُلّ ما كتب فيهما. فلذلك آثرت أن أصفها كتابةً ، وأرجأتُ الحديث عن عنوان « المخطوطة » ، إلى ماسأذكره فى « بابة تسمية الكتاب » ، إن شاء الله . ومما يزيدنى حُزْناً أن الاطلاع على تصوير « المخطوطة » الذى عندى ، لايبلُغ فى الدِّقة مايبلغه الاطّلاعُ على أصل المخطوطة الذى وقع فى الغُرْبة أسيراً فى مكتبة « تشستر بتى » بإرلندة . ولذلك كانت صفة هذه الصفحة غيرَ بالغة ما أحبُّ لها من الكمالِ فى صفتها . والظاهر عندى فى تصويرها فى أعلى الصفحة :

« كتاب طبقا‍ّ شعراء

تأليف محمد بن سلام الجمحى رحمه ... »

ويوشك أن يكون هذا خطَّ كاتب « المخطوطة » ، وإلى يسار السطر الأول سطران ، لايظهر منهما غير أحرف ، تعسُر قراءتها ، وتمامهما ممحُوٌّ ، وهما ، فيما أرجح :

« كتب ......

عبد المص ...... »

وكأنهما أيضاً بخطّ كاتبها ، وأخشى أن يكون السطر الثانى هو أول اسم كاتبها ، فانمحى؟ ثم إلى يمين السطر الثانى من عنوان الكتاب ، سطران بخط حديثٍ جداً ، وهو المعروف بالخط الفارسى :

« كتاب طبقات الشعراء لمحمد بن سلام »

وتحت العنوان بالخط الفارسىّ أيضاً :

« استصحبه الفقير عارف ، كان الله له »

وتحته بخط كبير :

« ملك مسعود »

وفى داخل الفراغ مابين اللام والكاف كتب « الشريف » ، وهذا الخطُّ قديم ، ولكنه أحدث من خطّ « المخطوطة » ، كما سيأتى بعد قليل . ثم خمسة أسطرٍ بخطٍّ أقدم منه ، يرتفع إلى القرن الرابع ، ولكنه غير خط « المخطوطة » بلا ريب ، لأن قاعدته فى الكتابة غير قاعدة كاتبها . وهذا نصه :

« كتاب طبقات الشعراء لمحمد بن سلام الجمحىّ
رواية أبى خليفة
رواية محمد بن عبد الله بن أسيد عنه
رواية أبى خليفة الفضل بن الحباب عنه
رواية سليمن بن أحمد بن أيوب الطبرانىّ عنه »

ثم كتب مسعودٌ ، أو كاتبه ، تحت هذا مانصه :

وانتقل برسم الابتياع إلى أبى محمد مسعود بن ...
... سنة ثمان وعشرين وستمائة ... »

ومكان النقط لم أستطع قراءته ، ولم أعرف « أبا محمد مسعود بن ... » ، وإن كنا قد عرفنا زمانه ، وعسى أن يعرفه غيرى . وفى أعلى هذه الصفحة ، فوق عنوان الكتاب خاتم حديث فيه « من كتب ... غُفر له » ، ومكان النقط لم أحسن قراءته كأنه « الفقيه » ، أو شىء يشبه ذلك فى رسمه . وإلى يسار الخاتم بخط فارسى « فى الأدبيات ٣٣ »

* * *

أما الصفحة الأولى من « م » ففيها اسم الكتاب بخطّ كاتبه ، ونصه :

« سِفْرٌ فيه طَبَقاتُ الشُّعَراء
تَأْليفُ مُحَمَّد بن سَلاَّمٍ الجُمَحِيُّ »

وإلى جواره بخط مغربى جليل أحدث منه :

« محمد بن سَلاَّم بن عبيد بن سالم الجمحىّ ، مولًى لَهُم
تُوُفِّى بالبصرة سنة إحدى وثلاثين ومائتين » :

وفوق عنوان الكتاب على أقصى يمين الصفحة ، بخط محدث ، مانصُّه :

« طالع فيه العبد لله ... محمد بن أحمد الشاء ... »

ومكان النقط ذهب فى قصّ الورق ، كأن الأولى « العبد لله » ، والثانية صعبٌ استخراجُ ما تدل عليه . وإلى يسار هذه الكتابة مانصُّه :

« حسبي الله
من كتب أبى بكر بن رستم بن أحمد الشروانىّ »

وتحت عنوان الكتاب بخطٍ فارسىّ :

« استصحبه المتوكّل على الله عبد الله بن عثمان بن موسى
المعروف بمستجير زاده ، كان الله تعالى لهم ،
وأوتى كتابهم بيمينهم »

وعلى هذه الصفحة ثلاثة خواتم : إلى جوار العنوان خاتمان ، أولهما صغير لا يقرأ ، والثانى فيه : « من ملك الفقير إلى الله الحاج مصطفى صدقى غُفِر له »، ثم فى أسفل الصفحة خاتم كبير فيه :

« وقفه العبد الفقير إلى ربّه الغنى أحمد عارف حكمة الله بن عصمة الله

الحسينىّ ... الرسول الكريم ، عليه وعلى آله الصلاة والتسليم ،
بشرط أن لا يخرج عن خزائنه ، والمؤمن محمولٌ على أمانته ،
١٢٦٦ » .

ولم أستطع أن أجد لهذه الأسماء المذكورة ترجمة أو ذكراً فيما بين يدىّ من الكتب .

* * *

٣ — تَسْمِيَةُ الكتاب

فرغنا من صفة المخطوطتين ، فالآن بقى أمرٌ واحدٌ لا مناصَ من الحديث عنه فى هذا الموضع . وكان معلوماً أنى سَمَّيت كتاب ابن سلام فى الطبعة الأولى : « طبقات فحولِ الشعراء » ، وقد عاب ذلك علىَّ كثيرٌ من أفاضل أهل العلم ، أوّلُهم أخى وصديقى الأستاذ السيد أحمد صقر ، فى نقده الكتاب بعد ظهوره ،[1] فقال :

« كما كنت أوثر أن لا يغيّر اسم الكتاب الذى عُرِف به وذكر فى أكثر الكتب والتراجم ، وهو « طبقات الشعراء » ، لا « طبقاتُ فحول الشعراء » . وليس فى قول ابن سلّامٍ : « فاقتصرنا من الفحول المشهورين على أربعين شاعراً » ، دلالةٌ على الاسم الذى اختاره الشارح ، لأنه قال أيضاً : « ففصَّلنا الشعراء من أهل الجاهلية والإسلام والمخضرمين ، فنزّلناهم منازلَهم ، واحتججنا لكل شاعرٍ بما وجدنا لهُ من حجّةٍ » . وقول الشارح : « إن اسم « طبقات

---

(١) كنت عزمت على نشر كل ما نقده أفاضل النقاد فى آخر هذا الكتاب ، ولكنه طال ، فأعتذر إليهم جميعاً عن هذا التقصير ، وقد قبست من علم كل منهم ما قبست ، ونسبته إليه فى التعليق فى بعض المواضع .

الشعراء ، ثوبٌ فضفاضٌ لا يطابق ما فى كتاب ابن سلامٍ ، لأنه لم يستوفِ فيه ذكر الشعراء ، يقال كذلك على الاسم الذى اختارَهُ : طبقات فحول الشعراء . ولو اتخذنا فضفضة اسم الكتاب ذريعةً إلى تغيير اسمه ، لبدلنا كثيراً من أسماء الكتب ، فإنّ أكثرها لا يطابق اسمُهُ موضُوعَه . وهل يطابقُ اسم «الكامل»، للمبرد ، موضوع كتابه ؟ كلا ، فما أبين انتفاء هذا الكتاب عن نسبه ، وأشدّ منافاته للقبه » . (مجلة الكتاب المجلد الثانى عشر ، العدد الثالث : جمادى الآخرة ١٣٧٢ ، مارس ١٩٥٣ ، ص : ٣٨١) .

وكان آخرهم الدكتور مصطفى مندور ، فإنه قال ، بعد ذكره أن المصادر القديمة مجمعة على أن ابن سلام اختار لكتابه اسم طبقات الشعراء : « ثم لما أراد الأستاذ محمود شاكر نشر الكتاب ، وجد فى جملة ابن سلام التى قالها فى مقدمته : « فاقتصرنا من الفحول المشهورين على أربعين شاعراً ... » ، ووجد فى بعض المواضع عند أبى الفرج الأصفهانىّ مثل قوله : « وذكره ابن سلاّم فى الطبقة الخامسة من فحول الشعراء » — ما رجح عنده اختيار تَسْمية الكتاب : طبقات فحول الشعراء . ولست أظنّ أن عوامل الترجيح هذه تكفى مطلقاً للأخذ بهذا الرأى ، فلفظة « فحول » المذكورة فى السياقين السابقين لا تحمل أيّة دلالةٍ ، إلا أن تكون صفةً توضّح نوع الاختيار ، أو الثناء على من اختارهم الجمحىّ . ولعلنا نستطيع أن نزيد على ذلك أن من بين الشعراء الذين يذكرهم صاحبنا شعراء لا يصلون إلى مستوى الدرجة الثالثة التى كان الجاحظ يسمّى الفرد منها : شُوَيْعِرًا ، أو شُعْرُوراً (!!) . ولعلى كنت أوثر للأستاذ المحقق ألاّ يميز طبعته بهذا الشعار الجديد ، ويحتفظ بالتسمية القديمة: «طبقات الشعراء » (تراث الإنسانية ، المجلد الأول ص : ٦٥٩) .

ومَعْذِرةً إلى الأستاذين الجليلين ، إذْ خالفت ما آثرا من الرأيِ ، مرّةً

أخرى ، لا لأنّى غير مقتنع بما ذكرًا من الحجّة على فسادِ رأيي وقبْح جرأتى بل لأنّ مصوّرة « المخطوطة » قد فَصَلتْ ما بينى وبينهما ، وكنتُ قد قلت فى مقدمة الطبعة السالفة ، حين ذكرت أسباب عُدُولى عن تسمية الكتاب : « طبقات الشعراء » ، ما نصه : « وآخرها : أنّى رأيتُ على نسختى التى نقلتها بيدى هذا العنوان : « طبقات فحول الشعراء » ، فلست أدرى بعد هذا الزمن الطويل ، أكانت هذه الكلمة فى الأمّ العتيقة ، ثم نقلتها كما هى ؟ أم ترانى كتبتُها من عندى ؟ وأنا أرجّح الأوّل ، لأنى كنت يومئذ صغيراً لم أتجاوز السابعةعشرة من عمرى ، ولأنى كنت يومئذ فى أوّل الطلَب ، وأجْهل من أن أنظُر نظرًا صحيحاً فى مثل هذا الأمر الدقيق ، المحتاج إلى التمييز والبصر » .

فالآنَ ، وقد ظفرت بمصوّرة من المخطوطة ، ونشرتُ صُورَتها فى أوّل الأوراق المصوَّرة بعد هذه المقدمة ، أجِدُ أنّ الفَصْل فى القضيّة لا يحتاجُ إلى بُرْهان أدّعيه على رأيٍ أراهُ استنباطاً ، بل ما فى « المخطوطة » هو الفيصَل . وكنت أتمنَّى أن تكون « المخطوطة » تحت يدى ، لأن معاينتها تكون أدقّ وأوضح ، والتصوير يخفى بعض ملامح الحروف ، ومع ذلك ، فإن عنوان الكتاب فى المصوّرة التى عندى ، فيه وضوح كافٍ ، سأصفه بقدر ما أستطيع من الدقة . وقد رأيت على عنوان الكتاب تلطيخاً أسودَ أخفى الباء والألف والتاء من لفظ « كتاب » ، وبقى واضحاً بعده الطاء والباء والقاف والألف من لفظ « طبقات » ، ثم جاء مَحْوٌ فأخفى جزءًا من تاء « طبقات » ، وبقيت نقطتا التاء ظاهرتين ، وفوق ألف « طبقا » رأس فاء جليلةٌ واضحةٌ ، وما بعدها ممحوّ ، ثم يظهر بعد المحْو حوض اللاّم الممدود هكذا « ـــ » ، وفوق هذا الحوض ظهرت الشين والعين والراء والألف ، من لفظ « الشعراء » . فيكون بيناً بعد هذا الوصف أن تقرأ ما فى المصورة : « طبقات فحول الشعراء » . وأكادُ أقطع اليوم أنى

قرأتها كذلك ، لما كانت المخطوطة نفسها فى حوزتى سنة ١٩٢٥م ، وأنى لم أكتب على نسختى التى نقلتها بيدى لفظ « طبقات فحول الشعراء » ، إلا استناداً إلى وضوحها فى المخطوطة ، لأنى بيقين كنت يومئذٍ صغيراً لا أحسن الاجتهاد فى الرأى ، وأجهلَ من أن أنظر نظراً صحيحاً فى أمر تغيير تسمية الكتاب .

والذى يدلُّ على أن هذه التسمية ، هى التى اختارها محمد بن سلاّم لكتابه ، دون تسمية « طبقات الشعراء » ، أنّ ابن سلاّم كان من أهلِ جيلٍ يحسنون اختيار ألفاظهم للدلالة على معانيهم ومقاصدهم ، لا يعمدون إلى اختيار ألفاظ الثناء ليضعوها فى غير موضعها . ثم إن ابن سلام نَفْسَهُ ، قد بيّن فى مقدمة كتابه ما يعنيه فى تأليف كتابه ، فقال :

« ذكرنا العربَ وأشعارهاَ ، والمشهورين المعروفين من شعرائها وفرسانِها وأشرافِها وأيامها ... فاقتصرنا من ذلك على مالا يجهله عالمٌ ، ولا يستغنى عن علمه ناظِرٌ فى أمر العرب ، فبدأنا بالشِّعر (ص : ٣) . ففصَّلنا الشعراءَ من أهل الجاهلية والإسلام والمخضرَمِين الذين كانوا فى الجاهلية وأدركوا الإسلامَ ، فنزَّلْناهم منازلَهُم، واحتججنا لكُلٍّ شاعرٍ بما وجدنا له من حُجّةٍ ، وما قال فيه العلماء ... فاقتصرنا من الفُحُولِ المشهورين على أربعين شاعراً ، فألَّفْنا من تشابه شعرُه منهم إلى نُظَرائه ، فوجدناهم عشرَ طبقاتٍ ، أربعةُ رهْطٍ كُلّ طبقةٍ ، متكافئين مُعْتَدِلين (ص : ٢٣ ، ٢٤) . ثم إنّا اقتصرنا — بعد الفَحْص والنظر ، والرواية عَمَّنْ مضى من أهل العلم — إلى رهطٍ أربعةٍ ، اجتمعوا على أنهم أشعرُ العرب طبقةً ، ثم اختلفوا بعدُ . وسنسوقُ اختلافَهم واتفاقَهُم ، ونسمّى الاربعةَ ، ونذكُر الحجّة لكُلِّ واحدٍ منهم — وليس تَبدِئَتنا أحدَهُمْ فى الكتاب نحكُمُ

له ، ولا بُدَّ من مُبْتَدأ — ونذكر من شعرهم الأبيات التى تكون فى الحديث والمعنَى (س : ٤٩ ، ٥٠) ».

وبيّن من سياق أبى عبد الله محمد بن سلام ، أنه نظر فى الشعراء المشهورين المعروفين من أهل الجاهلية والإسلام والمخضرمين ، فاقتصر على مالا يجهله عالم بأمر العرب ، فنزّلهم منازلهم . ثم عاد مرةً أُخرى فاصطفَى من الشعراء المشهورين المعروفين الفُحُولَ منهم . ثم عَاد مرةً ثالثةً ، فاصطفى من هؤلاء الفحول أربعين شاعراً فى الجاهلية ، وأربعين شاعراً فى الإسلام . ثم عاد مرةً رابعة فنظر فى شعر الأربعين من الفُحُول ، فانتهى فى تمييز شعرهم إلى عشرة ضُرُوب أو مناهجَ ، سمّاها « طبقات » ، ثم عادَ مرّةً خامسةً فألّفَ من تشابه شعرهُ منهم ، بعد الفحص والرواية عمن مضى من أهل العلم أنهم أشعُر العربِ طبقةً ، فجعل كُلَّ أربعةٍ منهم طبقةً متكافئين معتدلين ، ونبَّه على أن تقديمه اسمَ واحدٍ منهم على صاحبه ، ليسَ حُكْماً له بالتقدُّم على من يليه فى طبقته ، فهم جميعاً سواء ، ولكن لا مناصَ من أن يبتدىء بأحدِ هؤلاء الأربعة ، فابتدأ به غير مقدِّم له على أصحابه . وهذا الاحتراسُ وحدهُ دليلٌ على شدّة التحرُّجِ فى أمر هؤلاء الشعراء ، وهو لا يتحرجُ هذا التحرُّج ، إلاّ إذا كان لهؤلاء الشعراء صفةٌ تميِّزهم عن سائر شعراء العرب . وهذه الصفة ، ولا ريب ، هى أنهم فحول طبقتهم فى طبقات الشعر التى أشارَ إليها . هذه واحدةٌ .

ثمَّ إنّى رأيت أبا الفرج الأصبهانىّ (٢٨٤—٣٥٦هـ) ، وهو أقدم من ذكر كتاب ابنَ سلام ، وكان أخذَ الكتاب رواية وإجازة عن أبى خليفة الفضل ابن الحُباب (... — ٣٠٥ هـ) ، وهو ابن أخت أبى عبد الله آبن سلام

(١) انظر آخر « بابة طبعات الكتاب » وما قلته فى لفظ « طبقة » و « طابقات » .

(١٣٩ - ٢٣١هـ) ، وهو راوى كتابه — قد أكثر النقل عن كتاب ابن سلاّم، ولكنه لم يذكر اسمَهُ قطُّ،[1] إلا أنه قال فى موضع واحد: «ذكر محمد بن سلام فى «كتاب الطبقات» ، فيما أخبرنا به أبو خليفة» (الأغانى ١٢ : ٣٤٠، الدار)، وهذا لفظٌ مُبْهَم لا يدلُّ على شىء. ثم رأيته قال فى ترجمة المخبل السعدى (١٣ : ١٨٩، الدار): «وذكره ابن سلاّم فى الطبقة الخامسة من فحول الشعراء» ، وقال فى ترجمة عبيد بن الأبرص (١٩ : ٨٤ ساسى): «وجعله ابن سلام فى الطبقة الرابعة من فُحُول الجاهلية» .

وهذان نصّان واضحا الدلالة على أن «كتاب الطبقاتِ» ، الذى ذكره مبهماً فى النصّ الأول، هو فى شأن «فحول الشعراء» خاصةً . وإذا لم يكن هذا الأمر واضحاً عند أبى الفرج، من تسمية الكتاب كما رواه عن أبى خليفة، ومن موضوع الكتاب كما ذكره ابن سلاّمٍ فى مقدمته، لم يكن لإصراره على ذكر لفظِ «فحولٍ» فى هذين الموضعين معنًى يستفادُ. وإذا كان هذا صحيحاً، وهو صحيح إن شاء الله، فإن نسخة أبى الفرج التى أجازه بروايتها أبو خليفة، كان عنوانها بلا ريب: «طبقات فحول الشعراء» ، وكان ذلك هو الاسم الذى اختارهُ ابن سلام لكتابه ودلّت عليه نسخة مخطوطتنا، وهى نسخة عتيقة كما سترى فيما بعد.

هذا، فضلاً عن أن اسم «طبقات الشعراء» ، كما عُرِف بذلك عند المتأخرين اختصاراً، لا يطابق كتاب ابن سلام كُلَّ المطابقة، فإنه لم يستوفِ فيه ذكر «الشعراء» ، بل اختار عدداً معلوماً: أربعين شاعراً فى طبقات الشعراء الجاهليين، وأربعين شاعراً فى طبقات الإسلام، وأربعة شعراء فى طبقة أصحاب المراثى،

(١) أما فى جميع المواضع الأخرى التى نقل فيها عن ابن سلام، فإن أبا الفرج، ذكر إسناد روايته عن أبى خليفة، كما سترى ذلك فى «باب نسخة أبى الفرج الأصبهانى من كتاب الطبقات»، حيث ذكرت أسانيد أبى الفرج فى أغانيه.

واثنين وعشرين شاعراً فى طبقة شعراء القرى العربية ، وثمانية فى طبقة شعراء يهود ، فهم جميعاً ١١٤ شاعراً وحسب . والذى أغفله من كبار الشعراء أضعاف أضعاف ماذكر ، وإذن فاسم « طبقات الشعراء » ثوبٌ فضفاضٌ لايطابق ما فى كتابه ، وإنما هو اختصارٌ ممن ذكره بهذا الاسم ، على الأرجح . فبدليل العقل ودليل النَّقل وجب أن يكون اسم الكتاب : « طبقات فحول الشعراء » ، والحمد لله رب العالمين .

* * *

٤ — بَابَةُ إسناد الكتاب فى المخطوطتين وتراجم رواته ، وتحقيق تاريخ كتابة « المخطوطة »

ا — إسنادُ « المخطوطة » . أتلف البلل أوّل سطرين بعد البسملة ، بمقدار كلمتين فى كل سطر ، وهذه صورة مابقى منهما (انظر ص : ٣ من هذه الطبعة) بخطّ كاتب النسخة :

(١) « ... الله محمد بـ ... عبد الله بن أحمد بن أسيد قال : قرىء على ... ضى ... الجمحى أبو خليفة . قال محمد بن سلام الجمحى : ذكرنا »

ثم كتب صاحب النسخة بخط أكبر ، ثلاثة أسطر إلى يسار البسملة : نصُّها :

(٢) « وأخبرنا أبو القسم سُليمٰن بن أ ...
بن أيُّوب الطبرانى قال : قرىء ...
الفضل بن الحباب ، وأنا أسمع »

وكتب كاتب آخر بخط دقيق فوق السطر الأول إلى منتصفه ، وأتم الكلام بين السطر الأول والسطر الثانى ونصُّه :

(٣) « ... نصر : أخبرك أبو سعد إذناً ، انبا أبو نعيم

... قرأه عليه ... .نة إحدى وسبعين وثلثمائة قا .. القاضى »

* * *

(١) وتفسير هذا : أن « المخطوطة » رواية « أبى عبد الله محمد بن عبدالله ابن أحمد بن أَسِيد الأصبهانىّ » سماعاً عن أبى خليفة الجمحىّ ، عن محمد بن سلام. وآبن أَسيد ، هو وأبوه من محدّثى أصبهان ، توفى سنة ٣٣٦ هـ، [١] ولم أجد فى ترجمته أنه سمع من أبى خليفة الجمحىّ ، ولكن إسناد هذه النسخة دالٌّ على أنه قد سمع منه ، وقد ذكر أبو نعيم أنه : « سمع بفائدة والده من العراقيين » ، وكان أبوه : « أبو محمد عبد الله بن أحمد بن أسيد » (٠٠٠ ـ ٣١٠ هـ) قد خرج إلى العراق فى آخر أيّامه ، فكتبوا عنه بالعراقيين ، كما قال أبو نعيم . فأنا أرجّح أن أباه عبدَ الله بن أحمد بن أسيد ، قد خرج هو وولده محمد بن عبد الله إلى العراق قبل جمادى الأولى سنة ٣٠٥ ، وهى السنة التى توفى فيها أبو خليفة الجمحىّ ،[٢] وأَنه سمعَ كتاب الطبقات من أبى خليفة فى هذه الرحلة ، قبل هذه السنة ، وذلك ما بين سنة ٣٠٠ هـ إلى سنة ٣٠٥ ، على التقريب ، إن لم يكن قبل ذلك .

وكان قد استقرَّ فى وهمى زمناً أن هذه « المخطوطة » ، بخط أبى عبد الله ابن أسيد نفسه ، ولكنى عدلت عن ذلك لأسبابٍ كثيرة ، ورأيتُ أن صاحبها وكاتبها هو أحدُ الرُّواة عن أبى عبد الله بن أسيد ، وأنه قابلها وعارضها على نسخة آبن أسيد نفسه . ولا ريب أنه سمعها منه قبل وفاته سنة ٣٣٦ ، أى بعد عودته من العراق إلى أصبهان ، وذلك مابين سنة ٣١٠ ، التى توفى فيها أبوه ، وسنة وفاته هو ، وكتبها كاتبها بأصبهان ، حيث وُلِد آبن أسيد ومات . وأرجّح أن هذا الكاتب قرأ هذه النسخة التى كتبها على أبى القاسم الطبرانى .

* * *

---

(١) تاريخ أصبهان لأبى نعيم ٢ : ٢٧٣ ، ولم أعرف له ترجمة غيرها .

(٢) تاريخ أصبهان ٢ : ٦٥ ، تاريخ بغداد ٩ : ٣٨٠ .

(٢) وإذن، فلهذه المخطوطة إسنادٌ ثان، برواية أبي القاسم سليمان بن أحمد ابن أيوب الطبراني اللخمي، الإمام الحافظ المحدِّث الرحالة مسند الدُّنيا، صاحب المعاجم الثلاثة (الكبير والأوسط والصغير). رحل أبو القاسم في طلب العلم والحديث من الشام إلى العراق والحجاز واليمن ومصر والجزيرة، وأقام في الرحلة ثلاثاً وثلاثين سنة، وسمع سماعاً كثيراً حتى بلغت عدة شيوخه ألف شيخ. وروى عن أبي خليفة الجمحي، راوي الطبقات، وروى عنه أبو خليفة وهو شيخهُ. وولد أبو القاسم بعكّا، وأمُّه عكّاوية، في شهر صفر سنة ٢٦٠، وسمع الشيوخ في سنة ٢٧٣، واتسعت روايته ورحلته، ودخل أصبهان أوّل مرة وروى عن شيوخها في سنة ٢٩٠، ثم قدمها فاستوطنها ستين سنة، في سنة ٣٠٠ هـ، وبقي بها حتى مات سنة ٣٦٠، وهو من المعمّرين، فقد عاش مئة سنة.[1]

وبيّنٌ أنه كان بأصبهان، وأبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أسيد حيٌّ، إلى أن توفي سنة ٣٣٦، ولذلك رجّحتُ أن صاحبَ «المخطوطة» سمع كتاب الطبقات من أبي القاسم الطبراني أيضاً، لأنه كتبها بلاريب، عن نسخة ابن أسيد وسمعها منه في زمن حياته، وحيث كان أبو القاسم الطبراني مقيماً بأصبهان، ولكن ربما كان سماعُه من الطبراني متأخراً، أي بعد وفاة ابن أسيد.

* * *

(٣) أما ماهو مكتوبٌ بين السطرين الأولين، فأنا أرجّح أنه خطٌّ «أبي نصر: عبيد الله بن سعيد بن حاتم بن أحمد الوائلي البكريّ السِّجْزِيّ»، الإمام الحافظ علم السنة، نزيل الحرمين ومصر، رحل رحلته بعد سنة ٤٠٠. فسمع بخراسان والحجاز والشام والعراق ومصر، ومات بمكّة في المحرم سنة ٤٤٤،[2]

---

(١) تذكرة الحفاظ ٣ : ٩١٢، وغيرها.

(٢) تذكرة الحفاظ ٣ : ١١١٨، وغيرها.

وأرجّح أنه اشترى هذه النسخة نفسها فى رحلته، وحملها معه من أصبهان إلى مكة، ثم سمعها على شيخه أبى سَعْدٍ المالِينى .

وأبو سعد أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن حفصٍ الأنصارى الهَرَوِىّ المَالِينىُّ ، هو إمام حافظٌ عالمٌ زاهدٌ ، دخل جرجان سنة ٣٦٤، ورحل رحلات كثيرة إلى أصبهان وما وراء النهر ومصر والحجاز والكوفة والبصرة والشام ، والتى عامة الشيوخ والحفاظ الذين عاصرهُمْ ، ثم استوطن مصر ، ومات بها يوم الثلاثاء السابع عشر من شوال سنة ٤١٢ .[1] سمع منه أبو نصر السجزىّ كتاب الطبقات وأذن له فى روايتها. وظاهرٌ أنّ أباسعد سمع كتاب الطبقات من أبى نعيم، فى رحلته إلى أصبهان .

وأبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحق بن موسى بن مِهْران المِهْرانىُّ الأَصْبَهانىّ ، إمامٌ حافظ ، ولد سنة ٣٣٦ ، فى السنة التى مات فيها أبو عبد الله ابن أَسِيد راوى الطبقات ، وكان أوّل سماعه للشيوخ سنة ٣٤٤ ، وبقى يسمَعُ ويسمَع الناس منه حتى مات فى العشرين من المحرم سنة ٤٣٠ .[2] وظاهرٌ من هذا المكتوب بين الأسطر أن أبانعيم قرأ كتاب الطبقات سنة ٣٧١، على شَيْخ محا البلل اسمه من المخطوطة ، ولكنى أرجّح أنه هو صاحب هذه « المخطوطة » وكاتبها ، الذى سمعها من ابن أسيد نفسه ، والذى عاش فيما أظنّ دهراً طويلا بعد وفاة ابن أسيد سنة ٣٣٦ ، وأدركه أبو نعيم وسمع منه وانتسخ لنفسه نسخة أخرى من كتاب الطبقات ، وعَسَى أن يكون أبو نعيم أيضاً قد سمعها من الطبرانىّ لأنه مقيمٌ معه بأصبهان ، ولأنه روى عنه الحديث .

هذا تفسير إسناد المخطوطة ، وهو يدلّ على أن هذه النسخة عتيقة جدًّا ،

---

(١) تذكرة الحفاظ ٣ : ١٠٧٠ ، وطبقات الشافعية ٤ : ٥٩ .

(٢) تذكرة الحفاظ ٣ : ١٠٩٢ ، وغيرها .

وأن تاريخ كتابتها كان قبل سنة ٣٣٦ ، يوشك أن يكون سنة ٣١٠ ، إن لم يكن قبل ذلك بقليل .

° ° °

ب — أمَّا إسنادُ نسخة المدينة ، شرفها الله وصلى على صاحبها وسلَّم ، وهى التى أشرت إليها برمز « م » ، فهذا هو ما بعد البسملة :

« قال أبو محمد ، أخبرنا أبو طاهر محمد بن أحمد بن عبد الله بن نصر بن بُجَير القاضى ، أخبرنا أبو خليفة الفضلُ بن الُحبَاب الُجمَحىّ قال ، أخبرنا أبو عبدالله محمد بن سلاّم الجمحى قال : وللشعر صناعة وثقافة ... » .

و « أبو محمد » راوى هذه النسخة من الطبقات ، هو ، فيما أرجّح : أبو محمد عبد الغنى بن سعيد بن على بن سعيد بن بشر بن مروان بن عبد العزيز مروان الأزدىّ المصرىّ ، روى عن أبى طاهر الذهلىّ ، المذكور فى إسناده ، وهو إمامٌ متقن حافظ نسّابَةٌ ، كان عالمًا بالحديث وفنونه ، جليل القدر ، وهو حافظ مصر فى زمانه . قال الحبّال : « كان لعبد الغنى جنازة عظيمة تحدَّث بها الناس ، ونُودى له : هذا نافِى الكذبِ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم » . ذكره الإمامُ الدَّارَقُطْنِىّ فقال : « ما رأيتُ بمصر مثلَ شابٍّ يُقال له : عبد الغنىّ ، كأنه شُعْلةُ نارٍ » ، وولد أبو محمد فى ذى القعدة سنة ٣٣٢ ، وتُوُفِّى بمصر فى سابع صفر سنة ٤٠٩ .(١)
وخط هذه النسخة ، كما قلت ، عتيقٌ ، يرتقى إلى أواخر القرن الرابع وأوائل الخامس ، وهو شبيه بالمغربىّ ، فإنه ينقط الفاء بنقطة من أسفل ، والقاف بنقطة من أعلى . ويوشك بدء هذه النسخة أن يوحى بأنها نسخة أبى محمد عبد الغنى بن سعيد ، فإن يكن ذلك صوابًا فإنها تكون قد كتبت بخطه قبل سنة ٤٠٩ بدهرٍ طويل ، لأن أبا طاهر الذهلى القاضى مات سنة ٣٦٧ ، ولا ريبَ عندئذٍ أن أبا محمد عبد الغنى

---

(١) تذكرة الحفاظ ٣ : ١٠٤٧ ، وغيرها .

قد سمعها وكتبها قبل تاريخ وفاته . وإن تكن بخطِّ كاتبٍ آخر ، فأرجح الرأى أيضاً أنها كتبت قبل سنة ٤٠٩ ، أو بعد ذلك بقليل ، وأنها نقلت عن نسخة أبى محمد عبد الغنى بن سعيد .

وأما « أبو طاهر » ، الذى روى عنه أبو محمد ، والذى روى كتاب الطبقات عن أبى خليفة ، فهو : أبو طاهر محمد بن أحمد بن عبد الله بن نَصْر بن بُجَيْر بن عبد الله بن صالح بن أسامة الذهلىّ ، روى عن أبى خليفة صاحب ابن سلام الجمحىّ . وكان أبو طاهر محدّث زمانه ، وكان فاضلاً ذكيًّا متقناً لما حدَّثَ به. ولدَ بالبصرة ،وولىَ قضاء واسط سنة ٣١٠ مدةً طويلة ، ثم انتقل إلى بغداد ، فولى قضاء مدينة المنصور سنة ٣٢٩ ، وحدّث ببغدادَ شيئاً يسيراً، ثم نزل مِصْر فى سنة ٣٤٠ وحدَّث بها فأكثر ، وكتَبَ عنهُ عامّةُ أهلها ، وولىَ قضاءها فى سنة ٣٤٨ إلى قُبَيْل وفاته بيسير . حضر زمان كافور ، وشهد قُدومَ جَوْهر الصِّقِّلى بعسكر المعزّ الفاطمىّ ، وكانَ أحد الخارجين إلى جوهرٍ يكلّمونه فى الأمان كان مولده سنة ٢٧٩ ، ومات بمصر فى ذى القعدة سنة ٣٦٧ .[١]

وهذه النسخة كما أسلفت مختصرةٌ من « كتاب طبقات فحول الشعراء » كما أسلفت فى « بابة المقارنة بين المخطوطتين » .[٢] فلا أدرى ممن وقع هذا الاختصار، أمِنْ أبى طاهرٍ نفسه ، حين قرأ الكتاب على أبى خليفة ، واستنسخ منه لنفسه نسخة ، أم من « أبى محمد » ، حين قرأ الكتاب على أبى طاهر إن صحّ أن هذه نسخته هو ، أم من الكاتب الذى كتبها عن نسخة « أبى محمد » ؟ وأىّ

---

(١) تاريخ بغداد ١ : ٣١٣ ، وملحق كتاب الولاة والقضاة بمصر للكندى : ٥٨١ وغيرهما .

(٢) انظر ماسلف ص : ١٤

ذلك كانَ ، فإنها نسخة عتيقة جيّدة الضبط على اختصارها وإخلالها بكتاب ابن سلام .

* * *

وبيّن بعد هذا أنّ رواة كتاب « طبقات فحول الشعراء » ، جميعاً من أئمة أهل الحديث ، فرحم الله الأئمة من حفاظ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهم أبداً أهلُ الفضل فى حفظ علم الأوائل على الأواخر ، ولولا ما كرّمهم الله به من الفقه والدين ، وما أَوْدع فى قلوبهم من شوامخ الهمم ، لضاعَ علمٌ كثير ، ولكانَ كتابُ طبقات فحول الشعراء لابن سلام ، اسماً يذكر الكتابِ يُفتقَد .

* * *

٥ — رِوايَةُ ترجمةِ أبى خليفة ، ومحمد بن سَلّام

[(١)] أما راوى كتاب طبقات فحول الشعراء ، عن ابن سلام فهو : أبو خليفة الفَضْل بن الحُباب بن محمد بن شعيب بن صخر بن عبد الرحمن الجمحى . كان أعمى ، وهو ابن أخت محمد بن سلّام صاحب الطبقات . روى عنه كتبه ، وكان راوية للأخبار والأشعار والآداب والأنساب ، وهو مسند عصره فى الحديث بالبصرة ،

---

(١) القضاة لوكيع ٢ : ١٨٢ ، ابن النديم : ١١٤ ، مروج الذهب ٤ : ١٧٣ ، معجم الأدباء ٦ : ١٣٤ . طبقات الحنابلة ١ : ٢٤٩ ، مختصر طبقات الحنابلة : ١٨٤ ، نكت الهميان : ٢٢٦ ، بغية الوعاة : ٣٧٣ ، لسان الميزان ٤ : ٤٣٨ ، دول الإسلام ١ : ١٤٥ ، تاريخ ابن كثير ١١ : ١٢٨ ، مرآة الجنان ٢ : ٢٤٦ ، النجوم الزاهرة ٣ : ١٩٣ ، شذرات الذهب ٢ : ٢٤٦ ، إنباه الرواة ٣ : ٥ ، تذكرة الحفاظ ٢ : ٦٧٠ ، طبقات القراء ٢ : ٨ ، ميزان الاعتدال ٢ : ٣٢٩ ، الإكمال ٢ : ١٤١ ، طبقات الزبيدى : ١٩٩ ، مراتب النحويين : ٦٧ . وذكر الجزرى فى طبقات القراء ، وذكر غيره أيضاً ، أن اسم أبيه عمرو ، ولقبه الحباب .

رحل إليه العلماء من الأقطار ، وكان ثقة عالماً ، روى عن الأئمة الكبار ، كأبى الوليد الطيالسى ، وأحمد بن حنبل . وكان من علم اللغة والشعر بمكان عالٍ . وولى قضاء البصرة ما بين سنة ٢٩٣ وسنة ٢٩٥ هـ ، وله أخبارٌ كثيرة ونوادر ، فقد كان يكثر استعمال السجع فى كلامه ، عادة من غير تكلُّف . وعاش أبو خليفة ، فيما رووا مئة سنة غير أشهر . ولكنى أستظهر أنه عاش أكثر من ذلك ، فقد رَوى صاحب طبقات الحنابلة عن أبى خليفة قال : « قدم علينا أحمد ابن حنبل البصرة ، ليسمع من أبى الوليد الطيالسىّ ، سنة آثنتى عشرة إن شاء الله (أى سنة ٢١٢) ، » ثم ذكر أنه كان يذاكر أحمد بن حنبل بالليل كثيراً ، فذلك دليلٌ على أنه كان يومئذ قد بلغَ مبلغ الرجالِ . ولمّا كانت وفاة أبى خليفة ليلة الأحد لثلاث عشرة ليلة خَلَتْ من شهر ربيع الأول سنة ٣٠٥ ،[1] فكأنّ مولده كان فى سنة ٢٠٥ ، ولا أظنّ أن غلاماً كان فى السابعة من عمره ، كان خليقاً أن يذاكر أحمد بن حنبل مذاكرةً تعقل . من أجل ذلك أرجّح أن يكون أبو خليفة عاش أكثر من مئة سنة ، وطالَ به العُمْر حتى اختلط عليه وعلى الناس أمر الميلادِ ولعل مولده كان قبل سنة ٢٠٠ من الهجرة بزمانٍ . فهو من كبار المعمَّرين .

* * *

[2] أمّا صاحب كتاب « طبقات فحول الشعراء » ، فهو أبو عبد الله محمد بن

---

(١) فى طبقات الحنابلة أنه مات سنة ٣٠٧ ، وليس بشىء .

(٢) ابن النديم : ١١٤ ، تاريخ بغداد ٥ : ٣٢٧ ، نزهة الألباء : ٢١٦ ، معجم الأدباء ٧ : ١٣ ، بغية الوعاة : ٤٧ ، الجرح والتعديل لابن أبى حاتم الرازى ٣/٢/ ٢٧٨ ، لسان الميزان ٥ : ١٨٢ ، تاريخ ابن الأثير ٧ : ١٠ ، تاريخ ابن كثير ١٠ : ٣٠٨ ، النجوم الزاهرة ٢ : ٢٦٠ ، شذرات الذهب ٢ : ٧١ ، المزهر ٢ : ٢٦٠ ، إنباه الرواة ٣ : ١٤٣ ، كتاب مراتب النحويين لأبى الطيب اللغوى الحلبى : ٦٧ ، وطبقات النحويين للزبيدى : ١٩٧ ، العبر للذهبى ١ : ٤٠٩ ، ميزان الاعتدال ١ : ٦٦ .

سلّام بن عبيد الله بن سالم الجمحيّ البصريّ ، مولى قُدامة بن مظعون الجمحيّ .
مولده بالبصرة فى سنة ١٣٩ ، ووفاته فى سنة ٢٣١ ، أو سنة ٢٣٢ ببغداد ،
وابيضت لحيته ورأسه وله سبع وعشرون سنة ، وعُمّر نحواً من ثلاث وتسعين سنة.
وسمع شيوخ العلم والحديث والأدب ، وسمع منه شيوخ العلم الحديث والأدبَ .
روى عنه أحمد بن يحيى ثعلب ، وأبو حاتم ، والرياشيّ ، والمازنيّ ، والزياديّ ،
وأحمد بن حنبل ، وابنه عبد الله بن أحمد ، ويحيى بن مَعِين ، وأبو بكر بن أبى
خَيْثمة ، وأبو خليفة الجمحيّ ، ومحمد بن حاتم الزِّمّيّ ، وغيرهم من الأئمة . أما
شيوخه فى « كتاب طبقات فحول الشعراء » خاصة ، فقد آثرت أن أجمع أسماءهم
هنا مرتبة على حروف المعجم ، وهم :

أبان بن عثمان البَجَليّ الكوفيّ ، وهو أبان (الأعرج) — إبراهيم بن
حَبيب ابن الشَّهيد — الاسيْديّ ، أخو بنى سلامة (محمد بن الحجاج) —
الأصمعيّ (عبد الملك بن قُرَيْب) — بشّار بن بُرْد العقيليّ الشاعر — أبو بكر
ابن محمد بن واسع الشَّلَمِيّ — أبو بكر الهُذَلى المدنيّ — أبو البَيْداء الرِّياحيّ
— جَابر بن جَنْدل (أبو عبد الله الفَزَاريّ) — ابن جُعْدُبة (يزيد بن عِياض
ابن جُعْدُبة) — حاجب ابن يزيد (أبو الخطّاب الزُّرَاريّ) — الحارث
البُنَانيّ أخو أبى الجحّاف — الحارث بن محمد بن زياد — أبو الحُصَيْن المدنيّ
— الحكم بن قَنْبَر — الحكم بن محمد — حُلَابس العطارديّ — أبو الخطاب
الزُّراريّ (حاجب بن يزيد) — خلّاد بن قُرّة بن خالد السّدوسى — خلّاد
ابن يزيد الباهليّ — خلّاد الأرقط — خَلَف الأحمر — (خلف بن حيان) (أبو
محرز) — ابن دَأب (عيسى بن يزيد بن دأْب) — أبو رَجَاء الكلبيّ — أبو زيد
الأنصاريّ (سعيد بن أوس) — سالم بن أبى السَّمْحاء — سعيد بن أوس (أبو زيد
الأنصاريّ) — سعيد بن عُبَيْد — سفيان (؟؟) — سلاّم بن سليمان (أبو
المنذر القاريّ) — سلاّم بن عُبَيْد الله الجمحيّ (أبوه) — سَلَمة بن عيّاش —

أبو سَوّار الغنوىّ — سِيبويهِ — شُعَيْب بن صَخْر (جد أبى خليفة الجمحى) — عامر بن أبى عامر صالح بن رُستم الخرّاز — عامر بن عبد الملك بن مِسْمَع الجحْدرِىّ — عبد الجبار بن سعيد بن سليمان المساحِقِىّ — عبد الرحمن بن محمد ابن علقمة الضبىّ — عبد القاهر بن السَّرِىّ السُّلَمى — أبو عبد الله الفزارىّ (جابر ابن جندل) — عبد الله بن عون (ابن عون) — عبد الله بن مُصْعب (أبو بكر الزُّبيرىّ المصعبىّ) — عبد الله بن ميمون المُرّىّ — عبد الملك بن عبد العزيز الماجشون — أبو عبيدة (مَعْمَر بن المثنَّى) — عثمان بن عبد الرحمن — عثمان بن عثمان — أبو العَطَّاف — العلاء بن حُرَيْز العَنْبرىّ — أبو على الحِرْمَازِىّ (أبو عون ؟) — عُمَر بن السكن الصُّرَيمىّ — عمر بن مُوسى الجمحىّ — عمرو بن معاذ التيمى المعمرى البصرى — ابن عَوْن (عبد الله بن عون) — أبو عون الحِرْمَازىّ (أبو على ؟؟) — عيسى بن عُمَر — عيسى بن يزيد بن دأب (ابن دأب) — أبو الغرَّاف — الفضل بن العباس الهاشمىّ — أبو قيس العنبرىّ — كثير بن إسحق — كِرْدين (مسمع بن عبد الملك) — أبو مُحْرِز (خلف الأحمر) — أبو مُحْرز (واصل بن شَبِيب المَنافىّ) — محمد بن أبَان — محمد بن أنس الحَذْلَمىّ الأسدى — محمد بن جعفر الزِّيبَقىّ — محمد بن الحارث — محمد بن الحجّاج الأُسَيْدِىّ (الأُسَيْدى ، أخو بنى سَلَامة) — محمد بن حفص بن عائشة التيمىّ — محمد بن سليمان — محمد بن أبى عدىّ الفقيه (محمد بن إبراهيم بن أبى عدىّ) — محمد بن الفضل الهاشمى — محمد بن القاسم — مَرْوان بن أبى حَفْصة الشاعر — مَسْلمة بن محارب (مسلمة بن عبد الله بن سعد بن محارب) — مسمع بن عبد الملك (كِرْدين) — المسَيَّب بن سَعِيد — مُعَاوية بن أبى عمرو بن العلاء — المفضَّل بن محمّد الضبىّ الكوفىّ — أبو المنذِر القارىّ (سلّام بن سليمان) — موسى بن حمزة — واصل بن شبيب المنافىّ (أبو محرز) — أبو الوَرْد الكلابىّ — أبو يَعْلَى — أبو اليقظان — يوسف بن سعد

الجمحىّ — يونس بن حَبيب — يونس بن حسان — وعِدّتهم تسعة وسبعون شيخاً ، روى عنهم ابن سلّام فى كتاب الطبقات .

وذكر الخطيب البغدادى وأبو حاتم الرازى وغيرهما ، أنه حدّث عن حمّاد ابن سَلَمَة ، ومبارك بن فَضَالة ، وزائدة بن أبى الرُّقاد ، وأبى عَوانة ، وخالد الواسطى ، وعمر بن على بن مقدم ، وجماعة . ولم يرد ذِكْرُ أحد منهم فى الطبقات . وروى أيضاً عن مجاهيل لم يبيّنهم فى كتابه : فى رقم ١٢٥ : « بعض أهل العلم من غَطَفان » — وفى رقم ١٨١ : « بعض أصحابنا » — وفى رقم ١٨٣ : « بعض أهل الكوفة » — وفى رقم ٣٤٣ : « بعض أهل العلم من أهل المدينة » — وفى رقم ٦٠٣ : « بعض رواة قيس وعلماؤهم » — وفى رقم ٦٥٢ : « رجل من بنى مَرْوانَ شاميّ » — وفى رقم ٦٧٠ : « شيخ من ضُبَيْعة » .

وكان ابن سلام من أهلِ بيت لهم فى العلم باعٌ . فأبوه سلام بن عبيد الله ابن سالم الجمحىّ ، روى عنه فى مواضع كثيرة من كتابه . وأخوه عبد الرحمن ابن سلّام الُجمحى أحد رواة الحديث ، روى عنه مسلم وأبو زرعة وأبو حاتم وغيرهم ، وذكره ابن حِبّان فى الثقات . وحكى الحاكم فى تاريخه قال : سئل صالح ابن محمد — يعنى جزرة — عن عبد الرحمن ومحمد ابنى سلّام الجمحيّين ، فقال : صَدُوقان ، رأيتُ يحيى بن معين يختلف إليهما . وفى الزهرة : روى عنه مسلم ثلاثة عشر حديثاً .[1] ومن ولد محمد بن سلام : عون بن محمد بن سلام ، روى عنه أبو خليفة الجمحى . وأبو خليفة هو ابن أخت محمد بن سلام كما مرّ آنفاً .

وقد وجدت فى كتاب أبى أحمد العسكرىّ (شرح ما يقع فيه التصحيف : ٧٤) ، خبراً يدل على أن ابن سلّام كان يفهم الفارسية ، جاء فى الخبر عن ابن سلام أنه قال : « فقال لى خَلَفٌ بالفَارسيّةِ (يَعْنِي خلفاً الأحمر) : أصاب الرجُل ، ووَهِمَ أبو عمرو » .

---

(١) تهذيب التهذيب ٦ : ١٩٢ . خلاصة تهذيب الكمال : ١٩٣ ، وغيرهما .

وقد ذكر ابن النديم فى الفهرست ١١٤ ، أن ابن سلام ألف من الكتب : (١) كتاب الفاصل ، فى ملح الأخبار والأشعار ،[1] (٢) كتاب بيوتات العرب ، (٣) كتاب طبقات الشعراء الجاهليين ، (٤) كتاب طبقات الشعراء الإسلاميين ، (٥) كتاب الحلاب وأجر الخيل[2] . وقال ياقوت فى معجم الأدباء (٧ : ١٣) ، وألف كتاباً فى طبقات الشعر ، وله (٦) غريب القرآن .

وذكر أبو على القالى فى أماليه (١ : ١٠٧) : « وقال محمد بن سلام فى « كتاب طبقات العلماء » كنّا إذا سمعنا الشعر من أبى مُحْرِز لا نُبَالى أن لا نسمعه من قائله » . فإن صح نصّ الأمالى ، فهو وهمٌ من أبى على ، فيما أرجّح . وإنّما عَنَى صدر كتاب « طبقات فحول الشعراء » ، حيث ذكر علماء العربية . وهذا الخبر مرويٌّ فى الطبقات رقم : ٢٩ . ولم أجد للكتاب الذى سمّاه أبو على ذكراً فى كتب ابن سلام .

٦ — بابة نُسْخة أبى الفرج الأصبهانى من كتاب الطبقات

وما نَقَل عنه فى كتابه : « الأغانى » — ونُسخٌ أخرى

أكثر أبو الفرج الأصبهانى الروايةَ عن محمد بن سَلاَّمٍ الجمحىّ ، وبلغت صُوَر إسناده إليه خمساً وخمسين صورة أو أكثر ، ولكنْ لا يهمُّنا منها إلاّ ما يتصل بأمر « كتاب طبقات فحول الشعراء » ، وعِدَّتها ثلاثة عشر إسناداً تختلف ألفاظُها وتتفق معانيها ، وهذه هى بنصوصها :

١ — « ذكر محمد بن سلامٍ فى « كتاب الطبقات » ، فيما أخبرنا به أبو

(١) لعله « الفاضل » بالضاد المعجمة ، وانظر ص : ٦٠ ، فيما يأتى .

(٢) لعله « وإجراء الخيل » .

خليفة » — وذلك فى ترجمة سُوَيد بن كُرَاعٍ (ج ١٢ : ٣٤٠ ، الدار) ، ثم نقل بعده ما جاء فى الفقرة رقم : ٢٣١ وما بعدها (١٧٦ ، ١٧٧) ، وقد صرّحَ فى هذا المكان بذكر « كتاب الطبقات » ، كما ترى .

٢ — « أخبرنا أبو خليفة الفضلُ بن الُحبَاب ، مما أجاز لنا روايته عنه ، من حديثه وأخباره ، مما ذكره عن محمد بن سلَّام » (ج ٥ : ١٢ ، الدار) — وذكر بعد ما جاء فى (ص : ١٢٥) من نسختنا هذه : أن النابغة الجعدىّ هاجَى أوْسَ ابن مَغْراء فغُلِّبَ عليه : « ولم يكن إليه ولا قريباً منه » ، وتصرَّف فى النصّ كعادته أحياناً فى مثله ، إذ كان قد رواه أيضاً عن غير ابن سلام ، فلم يتقيَّد بنص ابن سلامٍ .

٣ — « أخبرنى الفضل بن الُحبَاب أبو خليفة الجمحىّ فى كتابه إلىّ ، بإجازته لى ، يذكر عن محمد بن سلاّم : أن الحطيئة . . . . » (الأغانى ٢ : ١٠٨ ، الدار) — وهذا الخبر ألحقته بكتاب الطبقات برقم : ١٣٦ .

٤ — « أخبرنا القاضى أبو خليفة ، إجازَةً ، عن محمد بن سلاّم » — وقد ورد هذا الإسناد فى أماكن كثيرة ، منها : (ج ٨ : ٢٩٥ ، ٣٠٠ ، الدار) ، نقلت الأوّل منهما فى رقم : ٦٧٦ ، وأما الآخر ففى أصل الطبقات « م » ، وهو برقم : ٦٧٢ ، وألحقت به الخبر الذى يليه فى الأغانى برقم : ٦٧٨ . ثم فى (ج ٩ : ٥ ، الدار) وهو فى الطبقات برقم ٧٢٠—٧٢٣ . ثم (ج ٩ : ٣٠٧ ، الدار) ، وهو فى الطبقات برقم ٥٢١ ، وغيرها كثير .

٥ — « أخبرنا الفضلُ بن الُحباب الجمحىّ أبو خليفة فى كتابه إلينا قال ،

أخبرنا محمد بن سلاّم » (ج ١٨ : ١٦٤ ساسى) ، والخبر فى الطبقات رقم : ٩١١ .

٦ — « أخبرنى الفضل بن الحباب أبو خليفة فى كتابه إلىَّ قال ، حدثنى محمد بن سلام ، (أو : عن محمد بن سلام) » ، فى أماكن كثيرة .

٧ — « أخبرنى أبو خليفة فى كتابه الذى عن محمد بن سلام » (ج ١٨ : ١٢٥ ساسى) ، وهو خطأ لاشك فيه ، يدل كل ما سلَف وما سيأتى على أن صوابه : « فى كتابه إلىَّ » ، والخبر ألحقته بالطبقات برقم : ٩٣٥ .

٨ — « أخبرنى أبو خليفة فى كتابه ، عن محمد بن سلام » (ج ١٨ : ١٢٥ / ٢١ : ٦١ ساسى) ، وصوابه : « فى كتابه إلىَّ » ، كما هو ظاهر ، والخبر ملحق برقم : ٩٣٣ .

٩ — « أخبرنى أبو خليفة : فيما كَتَبَ بِهِ إلىَّ ، عن محمد بن سلاّم » (ج ١٢ : ٢٣٩ ، الدار) ، والخبر ليس فى الطبقات ، وهو بلاشك من كتاب آخر غيره .

١٠ — « كتب إلىَّ أبو خليفة الفضلُ بن الحباب ، أخبرنا محمد بن سلاّم » (ج ٢١ : ٢٨ ساسى) ، والخبر فى هذا الموضع ليس من الطبقات .

١١ — « كتب إلىَّ أبو خليفة يذكُر أن محمد بن سلاّم حدَّثه » (١٢ : ٣٠٧ ، الدار) ، والخبر ليس من كتاب الطبقات بلا ريب ، فى هذا الموضع .

١٢ — « أخبرنى الفضل بن الحباب أبو خليفة قال ، قال محمد بن سلام » ، فى أماكن معدودة .

١٣ — « أخبرنى أبو خليفة قال ، حدثنا (أو : عن محمد بن سلام) » ، وهو فى مواضع كثيرة جدًّا .

وهذه الأسانيد التى جمعتها ومحَّصت أخبارها وخصتُ عنها ، تدلُّ دِلالةً واضحةً على أن القاضى أبا خليفة الجمحىّ ، قد كتب إلى أبى الفرج إجازةً برواية كُتُب محمد بن سلاّمٍ الجمحىّ ، عنه ، ومنها كتاب طبقات فحول الشعراء . وإذنْ فقد كانت عند أبى الفرج نسخة من كتب ابن سلامٍ ، كتبها إليه القاضى أبو خليفة ، وعليها إجازةٌ بروايتها ، ومنها كتاب الطبقات ، ومن هذه النسخة نقل أبو الفرج فى الأغانى ما نقل . وإذنْ ، فما جاء من أخبار ابن سلامٍ فى كتاب الأغانى عن الشعراء ، ممنّ لهم ذكرٌ فى كتاب الطبقات ، يوشِكُ أن يكون نسخةً ثالثةً من هذا الكتاب بلا ريب .

وقد وُلِد أبو الفرج الأصبهانىّ بأصبهان سنة ٢٨٤ هـ ، ثم رحَل إلى بغداد ونشأ بها واستوطنها ، وظاهر الأمر أنه لم يلقَ أبا خليفة الجمحىّ على الأرجح ، وقد توفى أبو خليفة بالبصرة فى شهر ربيع الأول من سنة ٣٠٥ هـ وقد جاوز المئة ، وأبو الفرج يومئذ فى العشرين من عمره . وأغلبُ الرأى وأرجَحُه أنّ أبا خليفة لم يدخُلْ بغداد فى تلك الفترة ، وأشُكُّ أيضاً فى أنه دخلها قبل ذلك ، لأنى رأيت الخطيب البغدادىّ لم يترجم له فى كتابه « تاريخ بغداد » ، وقد ترجم لصغار من دخلها من العلماء ، فبعيد جدًّا أن يكون أبو خليفة دخلها ويغفله البغدادىُّ ، وهو أحد أئمة الحفاظ ، وأحد كبار مُسْندى عصره من أهل الحديث .

وإذا كان ذلك ، فأرجح الرأى أن يكون أبو الفرج قد كاتب أبا خليفة يسأله أن يرسل إليه نسخة من كُتُب ابن سلّام ويجيزه بروايتها فيما بين سنة ٣٠٠ هـ وسنة ٣٠٤ ، وهو فى الخامسة عشرة أو بعدها بقليل . وإذا كانَ ذلك فمن عجيب

أمرِ أبى الفرج أنه ترجم فى كتابه الأغانى لجماعة من الشعراء الذين ذكرهم ابن سلاّم فى كتاب الطبقات ، فروى فى تراجم بعضهم أخبارَهُمْ عن ابن سلام وذكر طبقتهم فى كتاب الطبقات ، أما الآخرون منهم ، فإنَّه لم يذكر فى تراجمهم خبراً عن ابن سلام ، ولا ذكر طبقتهم فى كتاب الطبقات . وقد كنت ظننتُ أوّلاً أن كتب ابن سلام لم تصله إلاّ بعد أن أعدَّ كثيراً من مادة كتابه « الأغانى » ، وهو ظنٌّ فاسِدٌ ، لأن أبا الفرج قد حدَّث عن نفسه أنه قضَى فى تأليف كتابه هذا خمسين سنةً ، وهو قد توفِّى سنة ٣٥٦ ﻫ ، فيكون قد بدأ فى تأليفه قبل سنة ٣٠٦ من الهجرة بزمان ، بلا ريب . وذلك لأن الحكم المستنصر ، صاحب الأندلس ، بعث إليه فى طلب كتابه « الأغانى » ، فبعث إليه نسخة منهُ قبل أن يخرجَهُ بالعراقِ ، والحكم المستنصر ولى الأمر سنة ٣٥٠ من الهجرة — وأيضاً فإن أبا الفرج كتب « الأغانى » مرة واحدة فى عمره ، وهى النسخة التى أهداها إلى سيف الدولة الحمدانى بحلب ، وسيف الدولة توفى سنة ٣٥٦ ، أى فى السنة التى توفِّى فيها أبو الفرج . فأكبر الظنِّ أنه فرغ من تأليف كتابه قبل سنة ٣٥٣ أو بعدها بقليل . وإذن فقد كانت نسخته من كتاب « طبقات فحول الشعراء » حاضرة عنده منذ بدأ تأليفَ كتاب « الأغانى » سنة ٣٠٣ﻫ . وإذنْ ، فلم ذكر كتاب ابن سلاّم وأخباره فى مواضع ، وأغفل ذلك فى مواضع أخرى ؟

فى « كتاب الأغانى » خلَلٌ فى التأليف كثير ، وقد تنبَّه إلى بعضه ياقوت الحموىّ ، فقال : « قد تأمّلتُ هذا الكتاب وعُنِيتُ به وطالعته مراراً ، وكتبت منه نسخة بخطى فى عشر مجلّداتٍ ... فوجدته يَعدِ بشىء ولا يفى به فى غيرموضع منه[1] ..... وما أظنُّ إلا أنَّ الكتاب قد سقط منه شىء ، أو يكون النسيانُ

(١) ذكر ياقوت مثالين اثنين على مواضع الخلل فى كتاب الأغانى .

غلبَ عليه ، والله أعلم » ، وقد صدَق ياقوت ، والكتاب محتاج بعدُ إلى دراسةٍ وافيةٍ من كُلِّ وجهٍ ، ولكنى أظنُّ أيضاً أن لاستهتار أبى الفرج بالشَّراب ، أثراً ظاهراً فى تأليف كتابه ، مع تطاوُل المَدَى عليه فى جمعه وتصنيفه ، فلعلّ إغفالَهُ ما أغْفَلَ من ذكر كتاب الطبقات ، ومن النقل عنه فى تراجم هؤلاء ، راجعٌ إلى ذلك وإلى غيره من الأسباب التى أدخلت الخلل على كتابه .

والذى لاشَكَّ فيه أن أبا الفرج قد نقل نقْلاً صحيحاً تامًّا فى أكثر مارواهُ فى كتابه الأغانى ، من كتاب « طبقات فحول الشعراء » لابن سلّامٍ ، وقد تبيّن لى بالمراجعة والفحص ، أنّ أخباره المسندة إلى ابن سلام جاءتْ مطابقة لما فى « المخطوطة » و نسخة المدينة « م » مطابقةً تامة فى أكثر الأحيان . ويزيدُك يقيناً أن بعض الخرم الذى فى « المخطوطة » ، وجدتُ تمامه فى « الأغانى » ، وخيرُ مَثَلٍ على ذلك ماجاء فى الخبر رقم : ٧٥٢ ، ص٥٥٩ ، والتعليق عليه رقم : ٣ ، فإنى وجدتُ صدر الخبر فى الأغانى ، مع أنه لم يَرْوِ الخبر كعادته مسنداً إلى ابن سلام وحده .

ولما رأيت المطابقة الصحيحة بين ما كان فى أصل الطبقات ، وماجاء فى كتاب الأغانى ، استبحت لنفسى فى الطبعة الأولى أن أَزِيدَ فى مواضع الخَرْمِ من نسختى المخطوطة ، أخباراً نقلتُها من الأغانى بأحد أسانيده الثلاثة عشر المذكورة آنفاً ، وزدتها أيضاً على نصّ نسخة المدينة التى طبع عنها ماطبع من الطبقات ، وأنا على يقين يومئذٍ من أنها مختصرة من كتاب الطبقات . فعاب علىّ ذلك بعضُ أهل الفضل من العلماء ، ولكن لما جاءتنى مصورة « المخطوطة » كاملةً ، وجدت كُلَّ مازدتُه من الأغانِى ، موجوداً فى « المخطوطة » ، بل كانَ بعضُها فى نَفس سياق ابن سلّامٍ ، وفى موضعه من كتابه كما أثبتُّه أنا استظهاراً .

مثال ذلك الخبر رقم : ٧٩٥ ، فإنى كنت وضعته بعد الخبر : ٧٩٣ ، مباشرةً ، وهو كذلك فى « المخطوطة » ، إلاّ أنه فصل بينهما الشعر الذى رواه ابن سلام فى رقم : ٧٩٤ — والخبر رقم : ٩٤٧ كنت نقلته من الأغانى ووضعته بعد الخبر رقم : ٩٤٦ ، فكان كذلك فى « المخطوطة » أيضاً ، ومواضع أخرى أدع التكثير بذكرها .

من أجل ذلك رأيتُ أن الذى فعلتُه ليس عيباً قادحاً فى عَمَلى ، لأنّ ما فى الأغانى ، هو بيقينٍ من كتاب الطبقات ، ووضعى إيّاه اجتهاداً فى موضع من الكتابِ ، ربما أصابَ موضعه من أَصْل ابن سلامٍ ، وربما أخطأ الموضِعَ الذى وضعه فيه ، ولكنّه مع ذلك من أصل ابن سلامٍ بلا ريبٍ ، ولا عيب فى ذلك إن شاء الله . وعسى أن يأذن الله بظهور مخطوطة كاملةٍ من الطبقات تؤيد أكثر ما ذهبتُ إليه فى إثبات هذه الأخبار فى مواضع النقص والخرمِ التى وقعت فى « المخطوطة » وفى « م » .

وهذا بيانُ المواضع التى أدخلت فيها روايات أبى الفرج من نسخته التى نقل عنها فى كتاب الأغانى :

رقم : ٦٣/ رقم : ١٣٦/ رقم : ١٥٤ / رقم : ٤٤٧ ، إلى آخر رقم : ٤٤٩ / رقم : ٥٠٦ / رقم : ٥٠٩ ، ٥١٠ وهو مطابق لما فى الموشح أيضاً ، / آخر رقم : ٥١٦ ، وهو مطابق لما فى الفاضل للمبرِّد/ رقم: ٥٣٥ حيث أثبت نص الأغانى، لأنه أتم مما فى « م »/رقم : ٥٧٧/ رقم : ٥٨٣ ، إلى آخر رقم : ٥٨٥ / رقم :٦٦٦/ رقم : ٦٦٨/ رقم : ٦٧٠ / رقم : ٦٧٦ / رقم : ٦٧٨ ، نقلته عن الأغانى لفساد نص «م» / رقم : ٦٩٦ ، إلى آخر رقم : ٦٩٨/ رقم : ٧٣٥/ رقم : ٧٣٩ ، وهو مطابق لما فى الموشح وتاريخ ابن عساكر/ رقم : ٧٥٢ ، نقلت صَدْر الخبر ، وهو متّصل بنصِّ « المخطوطة »/ رقم : ٧٥٩ ، وهو زيادة على « المخطوطة » / رقم : ٧٦١ ،

وهو زيادة على « المخطوطة » / رقم : ٧٩٠ ، زيادة فى نسب العجير ، لأن أبا الفرج نص على أنه كذلك عند ابن سلام / رقم : ٧٩٧ ، زيادة فى الخبر على « المخطوطة » / رقم : ٩٢١ ، ٩٢٢ ، زيادة على « المخطوطة » / رقم : ٩٣٢ ، إلى آخر رقم ٩٣٥ ، زيادة على « المخطوطة » .

فهذه خمسة وعشرون موضعاً ، فيها ستة وثلاثون خبراً ، منها خبران مذكوران فى « م » ، ولكنى أثبت نص الأغانى ، وخبران فى « المخطوطة » زدت فيهما من الأغانى أسطراً ، وتسعة أخبارٍ زيادة على « المخطوطة » ، لأنى أرجح أن نسخة أبى الفرج كانت أتم منها ، فيبقى بعد ذلك ثلاثة وعشرون خبراً كلها زيادة على « م » ، وهى مختصرة ، كما أثبت ذلك فى « بابة المقارنة بين المخطوطين » .

* * *

بقيت نسخٌ أخرى من كتاب الطبقات ، برواية جماعة من شيوخ العلم ، أشرت إلى بعضها فى تعليقى على الكتاب ، فأولهم صاحب «الموشَّح» المرْزُبانىّ ، أبو عبيد الله محمد بن عِمران بن موسى بن عبيد ، ولد سنة ٢٩٦ ، وتوفى ببغداد ليلة الجمعة لليلتين خلتا من شوال سنة ٣٨٤ هـ . وروى كتاب الطبقات عن إبراهيم ابن شهاب ، وهو إبراهيم بن محمد بن شهاب ، أبو الطيب العطار ، ولد سنة ٢٧١ ، وتوفى فى شهر ربيع الآخر سنة ٣٥٦ ، قال المرزبانى : « كان أحد مشايخ المتكلمين والفقهاء على مذهب العراقيين ، عاشرنى فى منزلى أربعين سنة أو أكثر منها ، معاشرةً متَّصلةً غير منقطعة » . وإبراهيم بن شهاب روى كتاب الطبقات عن أبى خليفة الجمحىّ ، عن محمد بن سلام .

وأسانيد المرزبانى إلى ابن سلام ، أكثرها عن إبراهيم بن شهاب ، وبمراجعتى ماجاء فى الموشح تبين لى أن كُلَّ مافيه عن طريق إبراهيم بن شهاب ، موجودٌ بنصّه فى كتاب الطبقاتِ . فلذلك زدتُ خبرين من هذه الطريق : تمام

رقم : ٤٦ ، ثم رقم : ١٤٦ م زدت أيضاً من الموشح ، من رواية المرزبانى ، عن أبى بكر محمد بن يحيى الصُّولىّ (... — ٣٣٦ هـ) ، عن أبى خليفة ، عن ابن سلام ، الخبر رقم : ٧٤٣ ، لأن بعض ما رواه عن طريق محمد بن يحيى فى الموشح موجود أيضاً فى الطبقات . وكُلُّها زيادة على « م » .

وزدت أيضاً خبراً ، عن شرح نهج البلاغة ، لابن أبى الحديد ، عز الدين أبى حامد عبد الحميد بن هبة الله المدائنى (٥٨٦ — ٦٥٥ هـ) لأنه نصّ على أنّه من « كتاب الطبقات » ، وهو رقم : ١٣٧ ، وهو زيادة على « م » . وزدت شيئاً قليلاً فى صدر الخبر رقم : ٧١٢ ، عن ابن عساكر فى مخطوطة تاريخ دمشق ، لأنه إنما نقل فى كتابه عن كتاب الطبقات .

وإذن فمجموع مازدته من الأخبار على أصل الطبقات « م » ، هو سبعة وعشرون خبراً ، وتسعة أخبارٍ زيادة على « المخطوطة » ، فهى جميعاً ستة وثلاثون خبراً . وأرجو أن أكون قد أصبت الحقّ فى أكثر ذلك .

* * *

وبقيت زيادات أخرى نقلتها عن الكتب المختلفة ، رجّحتُ أنها من أصل الطبقات ، ولكنى أثبتها فى التعليق ، وهذا بيانها :

ص : ٣٨ ، تعليق : ٣ ، عن كتاب الزينة / ص : ٤٠ ، تعليق : ٤ — ٧ عن العمدة ، مع الشك فيه / ص : ٨٨ ، عن ثمار الأزهار / ص : ٩٨ ، تعليق : ٣ ، عن كتاب الغُرّة / ص : ٩٩ ، تعليق : ١ ، عن الغرة / ص : ١٧١ ، عن الإنباه على قبائل الرواة لابن عبد البر / ص : ٢٣٤ ، تعليق ٢ ، عن المختلف والمؤتلف للآمدى / ص : ٣٥٥ ، تعليق : ٢ ، عن الأغانى / ص : ٥٤٥ ، تعليق : ٣ ، عن الأغانى .

* * *

ولم يبق من شأن أبى الفرج ونسخته من كتاب الطبقات ، إلاّ ما ذكره فى تراجم الشعراء من ذكر طبقتهم فى كتاب « طبقات فحول الشعراء » ، فمن الحسن أن نبين مواضع الاتفاق والاختلاف بين ماقاله ، وماهو ثابت فى كتاب ابن سلاّم ، وننظر هل وَهِمَ أبو الفرج فى شىء مما قال .

(ا) فمن ذلك ما ذكره من طبقات أهل الجاهلية :

١ — فى ترجمة الشمّاخ (ج ٩ : ١٦٠ ، الدار) : « وجعل محمد بن سلام فى الطبقة الثالثة ، الشمَّاخَ وقرنه بالنابغة ولبيد وأبى ذؤيب » .

وهو كما قال فى نسختنا (ص : ١٢٣ ، رقم : ١٤٠) .

٢ — فى ترجمة الأسود بن يَعْفُر (ج ١٣ : ١٥ ، الدار) : « وجعله محمد بن سلام فى الطبقة الثامنة مع خِدَاش بن زُهَيْر ، والمُخَبَّل السعدى ، والنَمِر بن تَوْلَب » .

وهو يخالف ما عندنا فى الطبقة الثامنة (ص : ١٥٩) ، فإن أهل الطبقة الثامنة هم : عمرو بن قَمِيئة ، والنمر بن تولب ، وأوْس بن غَلْفَاء ، وعوف بن عطيَّة بن الخرِع ، وهو بلاشك وهْمٌ وقع فيه أبو الفرج ، يصحِّحه ماسنذكره بعده رقم : ٣ .

٣ — فى ترجمة المخبَّل السّعْدىّ (ج١٣ : ١٨٩ ، الدار) : « وذكره ابن سلام فجعله فى الطبقة الخامسة من فحول الشعراء ، وقرنه بخداش بن زهير ، والأسود بن يَعْفُر ، وتميم بن مُقْبِل » .

وهو مطابق لنسختنا (ص : ١٤٣ ، رقم : ١٧٤) ، ويصحح ماوقع فيه أبو الفرج من الوهم ، فى الفقرة السالفة رقم : ٢ .

٤ — فى ترجمة سُوَيْد بن أبى كاهل (ج ١٣ : ١٠٢ ، الدار) : « وجعله محمد ابن سلام فى الطبقة السادسة وقرنه بعنترة العبسى وطبقته » .

وهو كما قال فى نسختنا (ص : ١٥١–١٥٢ ، رقم : ١٩١)

٥ — فى ترجمة عَبيد بن الأَبْرص (١٩ : ٨٤ ساسى): « وجعله ابن سلام فى الطبقة الرابعة من فحول الجاهلية ، وقرن به طرفة ، وعلقمة بن عَبَدة ، وعدىّ بن زيد » .

وهو كما قال فى نسختنا (ص : ١٣٧ ، رقم: ١٦٣)

٦ — فى ترجمة المتلمّس (ج ٢١ : ١٢٢ ساسى) : « وجعله ابن سلام فى الطبقة السابعة من شعراء الجاهلية . وقرن به سلامة بن جَنْدَل ، وحُصَيْن بن الحُمَام ، والمسيَّب بن علَس » .

وهو كما قال فى نسختنا (ص : ١٥٥ ، رقم: ١٩٦)

من طبقات الإسلاميين

٧ — فى ترجمة الأحوص (ج ٤ : ٢٣٣ ، الدار) : « وجعل محمد بن سلام الأحوصَ ، وابن قيس الرقيات ونصيباً وجميل بن معمر ، طبقة سادسة من طبقات الإسلام ، وجعله بعد ابن قيس ، وبعد نصيب » .

وهو كما قال فى نسختنا (ص : ٦٤٨ ، رقم: ٨٢٠) ، إلا أنّه مذكور بعد ابن قيس ، وقبل نُصَيْب ، وأظنّ أن صوابَ نص الأغانى « وقبل نصيب » ، وإلا لاكتفى بقوله « وبعد نصيب » ، ولم يذكر « وبعد ابن قيس » .

٨ — فى ترجمة الأخطل (ج ٨ : ٢٨٢ ، الدار) : « وهو وجرير والفرزدق طبقة واحدة ، جعلها ابن سلام أول طبقات الإسلام » . وانظر ذكر الراعى فى الذى يليه رقم : ٩ .

وهو كما قال فى نسختنا (ص : ٢٩٨ ، رقم: ٣٩٠) .

٩ — فى ترجمة كُثَيِّر (ج ٩ : ٤ ، الدار): « وهو من فحول شعراء الإسلام ،

وجعله ابن سلام فى الطبقة الأولى منهم ، وقرن به جريراً والفرزدق والأخطل والراعى » .

وليس كما قال ، فإنَّ كُثَيِّراً من أهل الطبقة الثانية ، لا الأولى ، كما فى نسختنا (ص : ٥٣٤ ، رقم : ٧١١) . وأنت تعلم أن أهل الطبقة أربعة فحسب ، كما ذكر ابن سلام فى مقدمته ، وكما قال فى أول طبقات الإسلام (ص : ٢٩٧) : « كل طبقة أربعة رهطٍ متكافئين معتدلين » . وقد ذكر أبو الفرج الأربعة كما هم فى الطبقة الأولى ، فالخامسُ ، (وهو كُثَيِّر) وَهْمٌ منه . ولعله كان قد اتخذ لنفسه فهرساً فيه أسماء شعراء الطبقات ، فانطفأ السراجُ وهو يكتب ويراجع ، فاختلط بَصَرُه ، نخلط فى النقل ! ! أوْ شَرِب فثَمِل فوَهِل !

١٠ — فى ترجمة أبى زُبَيْد الطائىّ (ج ١٢ : ١٢٧ ، الدار) : « وألحقه ابن سلام بالطبقة الخامسة من الإسلاميين ، وهم العُجَيْر السَّلولِىّ ، وذَوُوه » .

وهو كما قال فى نسختنا (ص : ٥٩٣ ، رقم : ٧٨٩) ، وكما سيأتى فى رقم : ١١ .

١١ — فى ترجمة العُجَيْر السَّلولىّ (ج ١٣ : ٥٨ ، الدار) : « وجعله محمد بن سلام فى طبقة أبى زُبَيْد الطائى ، وهى الخامسة من طبقات الإسلام » .

وهو كما قال فى نسختنا (ص : ٥٩٣ ، رقم : ٧٩٠) ، وكما مضى فى رقم : ١٠ .

١٢ — فى ترجمة عدىّ بن الرِّقاع (ج ٩ : ٣٠٧ ، الدار) : « وجعله محمد بن سلام فى الطبقة الثالثة من شعراء الإسلام » .

وليس كما قال ، فإن ابن سلام جعله فى الطبقة السابعة ، كما فى نسختنا (ص : ٦٨١ ، رقم : ٨٥١) ، وأنا أرجّح أنه تصحيفٌ من ناسخ الأغانى .

بقى نص واحد فى الأغانى ، مشكل كل الإشكال ، هو هذا :

١٣ — فى ترجمة ابن ميّادة (ج ٢ : ٢٦٢ ، الدار) : « وجعله ابن سلام

فى الطبقة السابعة ، وقَرَن به عُمَر بن لجأ والعُجَيف العُقَيْلى والعُجَيْر السَّلولىّ » .

وابن ميَّادة لا ذكر له البتة فى كتاب طبقات فحول الشعراء لابن سلام .
وعمر بن لجأ ، عدَّه ابن سلاّم فى الطبقة الرابعة (ص : ٥٨٣ ، رقم : ٧٨٠) .
والعُجَيْف العُقَيْلىّ ، خطأ فى المطبوع من الأغانى ، وإنما هو القُحَيْف العُقَيْلى .
والقُحَيْف العقيلى ، عدَّهُ ابن سلام فى الطبقة العاشرة . والعُجَير السلولى ، عدّه ابن سلام فى الخامسة . فهذا اختلافٌ شديدٌ مُبين . وقد مضى آنفاً فى رقم : ١٠ ، ورقم : ١١ من كلام أبى الفرج نفسه ، ذكر هذه الطبقة الخامسة ، العجيرُ السلولىّ وأبو زبيد ، فلو أضفنا إليهما ما ذكره أبو الفرج هنا فى رقم : ١٣ ، لـكان معهما عمر بن لجأ ، والقحيف العقيلى ، وابن ميادة فهؤلاء خمسةٌ . وهذا باطلٌ ، فإنّ كل طبقة من الطبقات لم تزد قطُّ على أربعة شعراء ، كما هو واقع فى الطبقات ، وكما قال ابن سلام نفسه فى صدر طبقات الجاهليين ، وصدر طبقات أهل الإسلام .

وهذا خطأ لا تفسير له عندى ، إلاّ السهوُ الشديد من أبى الفرج ، أو اختلاط أوراقه التى راجعَ عليها أسماء الشعراء ، إذا صح أنه كان يتخذ لنفسه فهارس لمثل كتاب الطبقات ، كما افترضنا آنفاً ، فى التعليق على رقم : ٩ . وقد علق عليه فى الأغانى بعض من علّق فقال : « ولهذا لا يستبعَد أن يكون أبو الفرج قد أخطأ الرواية فى هذا النقل ، أو أنه روى ذلك مشافهة عن ابن سلام » .
وأبو الفرج لم يروِ مشافهة عن ابن سلامٍ ، كما زعم المعلّق ! وفى تعليقه كلامٌ آخر غير مفهومٍ ، ثم قال : « أو أن أبا الفرج اطلع على نسخة أخرى من الطبقات ، دخلها النقص فيما بعدُ حتى وصلت إلينا كما هى الآن » . وهذا عندى فرضٌ لا يقومُ ، بعد الذى قلناه ، وبعد الذى وجدناهُ من صحة نقوله عن ابن سلام فى اثنى عشر موضعاً من كتابه .

* * *

٧ — بَابَةُ طبعات كتاب الطبقات

طُبِع كتابُ ابن سلاَّم عدة طبعاتٍ أكثرها لا خير فيه ، ومنها ثلاث طبعات كان عليها اعتمادُ أهل العِلْم منذ سنة ١٩١٦ ، إلى أن كانت طبعتنا هذه سنة ١٩٧٤ ، هى طبعة يوسف هِلْ ، ثم طبعة حامد عجان الحديد الكتبى ، ثم طبعتُنا الأولى بدار المعارف . وسأقصر كلامى هنا على طبعة يوسف هل ، وطبعتِنا الأولى ، لأن طبعة عجان الحديد بمطبعة السعادة سنة ١٩٢٠ ، إنما طبعت عن النسخة الأوربية على الأرجح ، وعلى المخطوطتين اللتين اعتمد عليهما يوسف هل .

١ — طبع يوسف هل كتاب ابن سَلاَّمٍ باسم « طبقات الشعراء » ، أول مرّةٍ بمطبعة بريل ، فى مدينة ليدن ، (سنة ١٩١٣ — ١٩١٦) ، وقدّم له مقدمة بالألمانية ، وذكر أنه طبع نسخته عن نسختين من كتب شيخ العربية فى زمانه : محمد محمود بن التلاميذ التركزى الشنقيطىّ :

أولاهما محفوظة بدار الكتب المصرية ، برقم (٣٦ ، أدب ش) ، كتبت فى سنة ١٣٠٣ من الهجرة ، نقلاً عن نسخة مكتبة شيخ الإسلام عارف بك بالمدينة المنورة ، وهى نسخة « م » التى مضى ذكرها فى « بابة المقارنة بين المخطوطتين » .

والأخرى محفوظة بدار الكتب المصرية ، برقم (٣٧ ، أدب ش) ، وكتبت سنة ١٣١٠ من الهجرة ، وهى أيضاً منقولة عن نسخة مكتبة شيخ الإسلام عارف حكمة .

ولأن يوسف هِلْ لم يطّلع على مخطوطة كتاب الطبقاتِ المحفوظة بمكتبة عارف حكمة ، وكان قد دخل على أوّل هذه المخطوطة عبث عابث ممن قرأ الكتاب ، غيّر فيه نص كلام ابن سلام ، ثم جاء ناسخَا النسختين المحفوظتين

بدار الكتب ، فنقلا هذا العبث مُدْرَجاً فى أصل الطبقات — فإن يوسف هل استحدثَ لنفسه إشكالاً فى نسبة الكتاب إلى أبى عبد الله محمد بن سلام ، وخلط خلطاً كثيراً يُحسِنُ الإتيانَ بأمثاله هوَ وذَوُوه . فمن أجل ذلك آثرت أن أذكر أولاً ملخّص ما قاله هِلْ فى مقدمته :[1]

استهلّ يوسف هِلْ مقدمته الألمانية بالفحص عن نسبة الكتاب إلى ابن سلاّم وعن صحّة نصّه ، وذكر أنّ كتب الأدب نقلت عنه أخباراً لم يجد لها ذكراً فى كتاب الطبقات ، منها ما رواه أبو الفرج فى أغانيه (١٠ : ٣ ، الدار) ، حين ذكر دريد بن الصِّمَّة فقال : « وجعله محمد بن سلام أول شعراء الفُرْسان » . ثم ما رواه أيضاً فى الأغانى (١٨ : ٧٤ ، الهيئة) ، إذ ذكر خُفاف بن نُدْبة فقال : « وجعله ابن سلّام فى الطبقة الخامسة من الفرسان ، مع مالك بن نُوَيرة ، ومع ابنى عمّه صخر ومعاوية ابنىْ عمرو بن الشريد ، ومالك بن حمار الشمْخىّ » . ثم قال : إن هذين النصّين حملا بروكلمان إلى الظنّ بأن ابن سلام خليقٌ أن يكون قد ألّف كتاباً فى « فحول الشعراء » أو « فرسان الشعراء » . قال : ولكن لم يردْ فى كتب الفهارس ذكر كتابٍ بهذا الاسم ، وزعم أن الأمر اختلط على أبى الفرج الأصبهانى بكتاب مشابه لكتاب ابن سلام ، مثل كتاب « طبقات الشعراء » لدعبل ، أو كتاب « الفرسان » لأبى خليفة الجمحىّ ، على الأرجح . وزعم أن مثل هذا الخلط جائزٌ وقوعه ، لما كانت عليه حال الكتب العربية القديمة ، كما يظهر من كتابنا هذا ! !

ثم قال يوسف هل : إن أبا عبيدة (مَعْمَر بن المثنَّى) ألف هو أيضاً كتاباً

---

(١) اعتمدت فى نقلى لأقوال هذا المستشرق : على صديقى الدكتور عبد الرحمن بدوى ، قرأ على الأصل الألمانى ، وأملى على ملخصاً لما جاء فيه . ثم أعاد هل صديقى الدكتور أحمد بدوى قراءته ، ونقل لى فحواه ، فلهما منى أجزل الشكر وأطيبه .

باسم « طبقات الشعراء » ، بل إن أبا حسّان الزيادىّ وأبا خليفة الجمحىّ ، كلاهما قد ألف كتاباً باسم « طبقات الشعراء » ، كما جاء فى فهرست ابن النديم . أما أبو عبيدة فقد روى عنه ابن سلام فى كتابه فى سبعة مواضع . وأما أبو حسّان الزيادى ، فهو أحد من رَوَى عن ابن سلّام . وأما أبو خليفة ، فيدلُّ نصّ كتابنا على أنّه هو راوية ابن سلام . فمن أجل ذلك ، كان من العسير أن نحدّد : إلى أىّ مَدًى نستطيع أن نتحدَّث عن كتابٍ لابن سلام ، وإلى أىِّ مدًى يعدّ أبو خليفة راويةً فحسبُ ، وإلى أىِّ مدًى تصرّف أبو خليفة حتى جاءنا الكتابُ على الصورة التى هو عليها اليوم .

قالَ يوسف هل : والكتب العربية القديمة مفككة ، وكل الكتب التى وصلتنا تشهد بذلك . فالكتاب الواحدُ يُذكَر فى الفهرست لابن النديم على أنّه كتابان منفصلان . وهذا شأن « طبقات الشعراء الجاهليين » و « طبقات شعراء الإسلاميين » لابن سلام ، ثم تُنسَب فيما بعد إلى راوٍ متأخّر ، وهو فى موضوعنا هذا : أبو خليفة الجمحىّ . ثم ضرب هِلْ مثلا بكتاب « فحولة الشعراء » للأصمعى : فابن دُرَيْد هو راوية الكتاب ، وأبو حاتم السِّجِسْتانىّ هو محرّر الكتاب ، والأصمعىّ هو مصدر الكتاب . وكذلك الشأن فى كتاب « طبقات الشعراء » : فأبو طاهر محمد بن أحمد بن عبد الله بن نصر بن بُجَيْر القاضى ، هو راوية الكتاب ،[1] وأبو خليفة الجمحى هو محرِّر الكتاب ، وابن سلام هو مصدر الكتاب . هذا على أنّه من البيِّن أن نصيب ابن سلام فى هذا الكتاب ، أعظم من نصيب الأصمعى فى كتاب « فحولة الشعراء » .

ثم تكلّم يوسف هِلْ ، عن كتاب طبقات الشعراء ، وقارن بينه وبين كتاب

---

(١) هو راوى نسخة المدينة « م » كما سلف .

الأصمعى ، وبين عمل ابن سلام فى كتابه وعمل الأصمعى فى كتابه، وهو كلام مختصر ليس هذا مكانه فيما أرى . ولما فرغ من ذلك ، قال يوسف هل :

أمّا ما أورده صاحب الفهرست ، من ذكر كتابين لابن سلّام هما «طبقات الشعراء الجاهليين » ، و« طبقات الشعراء الإسلاميين » ، فيدلّ نصُّنا هذا على أنهما كتابٌ واحدٌ، له مقدمة واحدةٌ . ولكن وُجِد فى نصِّنا بين « طبقات الشعراء الجاهليين» و«طبقات الشعراء الإسلاميين » حَشْوٌ لم يذكره فى مقدِّمته. فقد دلّت المقدمة على أنّه كان يريد أن يجعل « المخضرمين » بين الجاهليين والإسلاميين ، ثم عَدَل عن ذلك واستبدل بها « طبقة أصحاب المراثى » ، وصيّرها طبقة بعد العشر طبقات من الجاهليين ، وأردفها بطبقة « شعراء القرى العربية» ، وهى مكه والمدينة والطائف واليمامة والبحرين . ثم ألحق بهما « طبقة شعراء يهود » .

ثم قال: أما كتابنا هذا ، فليس فيه ذكر « كتاب فحول الشعراء» أو «فرسان الشعراء» ، ومن الجائز أن يكونَ كتابُ «فرسان الشعراء » قد اندمجَ فى كتاب «الفرسان» لأبى خليفة الجمحى ، وقد ضاعَ كتاب أبى خليفة فيما يظهر. انتهى ماقاله!

* * *

وكلُّ ما جاء به يوسف هل ، خبْطٌ وخلْطٌ وأشياء أُخْرى! وهو كلامٌ لا يكاد يثبت على نقدٍ . ولولا ما نخشَى من استغواء مثل هذا الكلام لبعض من لا يعرفُ من أهل زماننا حالَ الكتب العربية ، لما حفلتُ بالردّ عليه .

أما قولُ هذا المستشرق الغريب الشأن ! وما ذكره من اختلاط الأمر على أبى الفرج الأصبهانى ، ثم تعليله ذلك بأن « هذا الخلط جائز وقوعه ، لما كانت عليه حال الكتب العربيّة القديمة ، كما يظهر من كتابنا هذا !! » ، ثم قوله بعد

ذلك : « والكتب العربية القديمة مفككة ، وكُلُّ الكتب التى وصلتنا تشهد بذلك » !! — فلا أدرى ماذا أقول فيه ؟ ولعله معذورٌ ، لأنَّه من طائفة من البَشَر لاتَسْتَحى من الكذب على أنبياء الله ، فكيف تستحى من الكذب على العرب، وعلى « الكتب العربية القديمة » ؟ فإلاَّ يكُنْ هذا كذباً محضاً غيرَ مخلوطٍ ، فإنه جَهْل بَحْتٌ غيرُ ممزوج ، « والكتب العربيَّة القديمةُ التى وصلتنا » تشهد عَلَى مقالته هذه بالكذبِ والجهلِ معــاً ، خليطاً واحداً ! ومع ذلك فسأتكلّف مالايليق بى ولا بأحدٍ من العقلاء ، فأحاوِل نقد كلامه .

أوّلُ ذلك: أن ذِكْر صاحب الفهرست فى ترجمة ابن سلام كتابين باسم «طبقات الشعراء الجاهليين» و«طبقات الشعراء الإسلاميين » ، لايدل على أنهما كتابان منفصلانِ . فإن القدماء كانوا إذا اختلف الموضوع فى الكتاب الواحد، سمّوا كل باب كبير منه « كتاباً » . فابن قتيبة مثلاً (ولد سنة ٢١٣ ، وتوفى سنة ٢٧٦ من الهجرة) ألف أدب الكاتب، وكتاب معانى الشعر الكبير، وكتاب عيون الأخبار وغيرها (وكلها مطبوع). فكتاب أدب الكاتب فيه أربعة كتب: كتاب المعرفة، وكتاب تقويم اليد ، وكتاب تقويم اللسان ، وكتاب الأبنية، وفى كل كتاب منها أبوابٌ عدةٌ . وكذلك كتاب معانى الشعر الكبير، يحتوى على اثنى عشر كتاباً ، فى كل كتاب أبواب كثيرةٌ . فعبارة ابن النديم لاتدل على أنّهما كتابان منفصلان ، بل هما بابان كبيران من كتاب واحد . وسائر النقول عن كتاب «طبقات الشعراء لابن سلام » تدلُّ على ذلك دلالة واضحة . ومن رجَع إلى فهرست ابن النديم ، عرف صحة ما ذهبنا إليه .

الثانى: أنّ العلماء القدماء ، كانوا لايرونَ بأساً فى اشتراك الكتب فى الأسماء . فأكثر الأوائل مثلاً سمّوْا كتبهم باسم « غريب القرآن » و « غريب الحديث »

و« كتاب الشعراء » . تجد للشيخ كتاباً بهذا الاسم ، ثم لتلميذه ، ثم لتلميذه من بعده ، لأنهم قصدوا إلى المعنى العام الدالّ على ما فى كتبهم ، ولم يبالوا بالتخصيص، فالتخصيص يأتى من معرفة المؤلف الذى ألّفه . ومن راجع كتاب الفهرست وجد عشرات من الكتب للشيوخ وتلاميذهم بهذه الأسماء : غريب القرآن ، غريب الحديث... الخ . فاشتراك ابن سلام وأبى خليفة ودعبل وسواهم فى تسمية كتاب، لا يدلّ على شىء البتّة ، مما ذهب إليه يوسف هِلْ. ولا يمكنُ أن يكون اشتراك الأسماء سبباً فى وقوع أبى الفرج الأصبهانى فى الخلط بين الكتب ، وفى الرواية عنها. ومراجعة الأغانى تكفى فى الدلالة ، على أنّه نقل من كتبٍ مشتركة الأسماء ، ولكنّه فصَل بينها فَصْلاً صحيحاً ،لأن اعتمادَه كانَ على الإسنادِ،لا على كتابٍ غُفْلٍ من إسناده.

والذى كان من اشتراك ابن سلام وتلميذه أبى خليفة فى اسم « كتاب طبقات الشعراء » ، خليقٌ أن يكون دليلاً على أن الأول منهما مجرّد رواية عن ابن سلام، وأن الآخر كتاب مختلفٌ عَنْه ، ألّفه أبو خليفة فأحدثَ فيه ما أحدثَ من مخالفة أو موافقة ، ومن اختصار أو بسط ، ولو كان وصلنا لعرفنا مذهبَه فيه ، وهو خليقٌ أيضاً أن يكون روى فيه عن غير ابن سلّام من شيوخه ، وهم جمٌّ غفيرٌ .

الثالث : أنّ نصَّ كتابنا هذا يدلّ دلالةً واضحةً على أن أباخليفة الجمحىّ ، لم يستدخل نَفْسَه فى نصّ ابن سلّامٍ قطُّ ، إلاّ فى خمسة مواضع :

الأوّل : ص : ١١ ، س : ١ ، قوله : « والبيت مريبٌ عند أبى عبد الله » ، يعنى « أبا عبد الله محمد بن سلام» .

الثانى : ص : ١٧ ، تعليق : ١ ، نقلاً عن الموشّح للمرزبانى ، وهو قوله : « قال الفضل (يعنى نفسه أبا خليفة الفضل بن الحباب) قال التوّزِىُّ : يقالُ رِيرٌ

ورَارٌ ، وهو المخّ الرقيق ، وكِيحُ الجبل وكاحُ الجبلِ أسفلُه ، وقِيدُ رمحٍ وقادُ رُمْح » .

الثالث : ص : ٤١ رقم : ٤٦ قوله : « يقال : يتهكّم ويتكهّمُ ، قال الفضل (يعنى نفسه) : ويقال : ليلةٌ بُهْرَةٌ ، إذا كان قمرها مضيئاً » .

الرابع : ص : ١٤٠ ، الخبر رقم : ١٦٩ ، كُلُّه وأسنده فقال: « نا أبوخليفة ، نا أبو عثمان ، عن الأصمعى ، عن نافع بن أبى نعيم » ، وظاهر أنّه أتى به لمناسبة الشعر الذى قبله ، وظاهرٌ أيضاً أنه رواه عن غير ابن سلام .

الخامس : ص : ٣٩١ ، وهو قوله : « آلجدْلُ : الفَتْل . والأدَامُ : الحبالُ ،[١] نا أبو خليفة : كُلُّ من كان فى عمله حديدٌ فهو قَيْنٌ ، بذى نَجَبٍ : يوم التقت بنو حنظلة وبنو عامر ، إلا بنى مالك بن حنظلة » .

فى هذه المواضع الخمسة ، استدخل أبو خليفة نَفْسه فى نصّ ابن سلام ، أو يكون سئل عن ذلك والكتابُ يُقْرأ عليه ، فأجابَ ، فأثبت الراوى عنه ما قالهُ أبو خليفة فى نص نسخته . وهذا أرجح ، لأنّ بعضه موجودٌ فى نسختنا ، وبعضه من رواية المرزبانى فى نسخته ، وليس موجوداً فى مخطوطتنا . ثم لم نجد — فيما قبل ذلك ولا فيما بعدهُ — ما يدلُّ على أن أبا خليفة استدْخَل نفسه ، أو تصرّف أىَّ تصرُّف فى النصّ الذى يرويه عن خاله ابن سلّام .

وإذا صحّ هذا ، وهو صحيح ، لم يعُدْ لكلّ ما أفاضَ فيه يوسف هِلْ ،

---

(١) قلت فى التعليق على هذا ص : ٣٩١ ، تعليق : ٢ : « وغرر بابن سلام » ، والصواب « وغرر بأبى خليفة » ، فليصحح .

أصلٌ يقوم عليه . ولا أُحبُّ أن أُطيل فى تفصيل نقد أقواله ، فإنّ فيما سيأتى بعض الردّ على ماذهب إليه فى مقدمته .

• • •

استهَلّ المسكين يوسف هل مقدّمته باستحداث إشكالٍ فى نسبة الكتابِ إلى ابن سلّام ، فزعم بأن كتب الأدب نقلت عن « كتاب الطبقاتِ » أخباراً لم يجدْ لها فيه ذكراً . وهذا صحيح من وجهٍ ، وفاسدٌ من وُجوه .

صحيحٌ ، لأنّ كتب الأدب نقلت عن ابن سلّامٍ أخباراً فى تراجم الشعراء الذين ذكرهم فى كتابه ، ليس لها وجودٌ فى نسخة المدينة « م » ، التى لم يطّلع هو عليها ، ونشر كتاب الطبقات عن نسختين نسختا عنها . وهذه النسخة — كما أسلفنا فى « بابة المقارنة بين المخطوطتين » — مختصرةٌ من كتاب « طبقات فحول الشعراء » ، والذى نقلته كتب الأدب (وهو يعنى كتاب الأغانى وحدَه ، وإنّما هو تكثُّرٌ لا أكثر ولا أقلّ) ، موجودٌ كُلُّه فى « المخطوطة » ، كما هو واضحٌ فى تعليقى على الكتاب .

وفاسدٌ ، لأنّ لابن سلّام كتبًا أخرى غير كتاب « طبقات فحول الشعراء » ، وليس كُلُّ ما رُوِى عن ابن سلام ، فهو من كتابه هذا وحدَه . وفاسدٌ أيضاً ، لأن يوسف المسكين ، لمّا أراد أن يثبت دعواه فى أنه فَحَص الكتاب ! ! لم يقفنا على شىء إلاّ على موضعين فى الأغانى : هذا نصهما :

١ — فى ترجمة دريد بن الصمة (ج ١٠ : ٣ ، الدار) : « وجعلَهُ ابن سلاّمٍ أوّل الفُرْسان » .

٢ — فى ترجمة خُفاف بن نُدْبَة (ج ١٨ : ٧٤ الهيئة) : « وجعله ابن سلّامٍ

فى الطبقة الخامسة من الفرسان مع مالك بن نُوَيْرة ، ومع آبنَىْ عَمّه صخرٍ ومعاوية آبنَى عمرو بن الشَّرِيد ، ومالك بن حِمار الشمخِىّ » .

وقال : إن هذين النَّصَّين حملا بروكلمان إلى الظنّ بأن آبن سلامٍ خليقٌ أن يكون قد ألف كتاباً فى « فحول الشعراء » أو « فرسان الشعراء » ،[1] ثم تولّى يوسف هل نقد بروكلمان فقال : ولكن لم يرد فى كتب الفهارس ذكر كتابٍ بهذا الاسم ، ثم ذهبَ يَخْلِط ويَخبط ويتبَحْبَحُ ، ولا بأسَ عليه إن شاء الله ! وكل هذا كلامٌ لا وزن له ، ولا حُجَّة فيه .

وقد أصاب بروكلمان كل الإصابة . وحُجّتنا فى ذلك ، أنّ ابن سلام قال فى صدر كتاب الطبقات (ص : ٣) من طبعتنا هذه ، وهو ساقطٌ من المطبوعة الأوربية والمصرية مانصه :

« ذكرنا العرب وأشعارَها ، والمشهورين المعروفين من شعرائها ، وفُرْسانها ، وأشرافِها وأيَّامها ، إذ كانَ لا يُحاطُ بشعْرِ قبيلةٍ واحدة من قبائل العرب ، وكذلك فُرْسانُها وساداتها وأيامُها . فاقتصرنا من ذلك على مالا يجهَلُه عالمٌ ،

---

(١) فى الأغانى مواضع أُخر نقل فيها عن ابن سلام نقولاً هى أحرى بأن تكون من كتاب الفرسان ، من ذلك ما جاء فى ترجمة عنترة (ج ٨ : ٢٤٦ ، الدار) قوله : « أخبرنى أبو خليفة ، عن محمد بن سلام قال : كان عمرو بن معد يكرب يقول : ما أبالى مَنْ لقيتُ من فرسان العرب ، مالم يلقَنِى حُرَّاها وَهجِيناها ! — يعنى بالُحرَّين : عامر بن الطُفَيل ، وعُتَيْبة بن الحارث بن شهاب . وبالعبدين : عنترة ، والسليك ابن السُّلَكة » .

وانظر أيضاً الأغانى ١٥ : ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٢٢٥ ، الدار ، فى خبر الفارس عمرو بن معد يكرب / ١٦ : ٥٥ الدار ، فى صدر خبر الفارس ربيعة بن مكدم ، وغيرها كثير .

ولا يستغنى عن علمه ناظرٌ فى أمر العرب . فبدأنا بالشِّعر » .

ولما كان كتاب الطبقات ، كما قال ابن سلام ، فى الشعر والشعراء وحدهم ، على مابيَّن بعدُ فى كتابه ، وقال إنه « بدأ بالشعر » ، فهذا وحده مُشْعِرٌ بأنه سوف يُتْبع الشعرَ بالكلام على « فرسان العرب » ، ثم « أشراف العرب وساداتها » ، ثم « أيام العرب » . وقد وجدنا كتاب « طبقات فحول الشعراء » . وذكر ابن النديم كتاباً سمَّاهُ « بيوتات العرب » ، فهذا فيما نعتقد ، هو الذى فيه ذكر « أشراف العرب وساداتها » . فجاء أبو الفرج ، فدلّنا دلالة قاطعة على كتاب آخر لابن سلام هو « كتاب الفرسان » أو « كتاب فرسان الشعراء » . وابن النديم لم يستوعب كتب كلّ مؤلِّف ، ولا هو ادّعى ذلك . وهو خليق أن يكون سقط ذكره عنه ، كما سقط عنه ذكر كتاب ابن سلام « غريب القرآن » .

هذا ، وقد وجدت فيما رواه أبو الفرج بأسانيده عن ابن سلام أكثر من أربعين موضعاً ، يذكر فيها « المغنّين » ، ومواضع أخرى ذكر فيها بعض الشعراء كعمر بن أبى ربيعة ، ونابغة بنى شيبان ، وبشاراً ، وغيرهم ، كسكينة بنت الحسين ، وسُعْدَى بنت عبد الرحمن بن عوف ، والحارث بن خالد المخزومى ، وموسى شهوات ، فأخشى أن يكون لابن سلام كتابٌ أيضاً فى « المغنّين وأخبارِهم » ، أو تكون من الكتاب الذى ذكره ابن النديم فى الفهرست : « الفاصل فى ملح الأخبار » .[1]

* * *

حين نشرت طبعتى الأولى من كتاب « طبقات فحول الشعراء » ، لم تكن

---

(١) انظر مامضى ص : ٣٨ ، لعله « الفاضل » .

مخطوطة الكتاب المحفوظة بمكتبة شيخ الإسلام عارف حكمة بالمدينة ، تحت يدى ، ولا أعرف شيئاً عن خَطّها أو تاريخ كَتْبِها ، ووجدت فى طبعة يوسف هل ، وطبعة حامد عجان الحديد ، وفى النسختين المخطوطتين اللتين نسختا عن مخطوطة مكتبة شيخ الإسلام ، المحفوظتين فى كتب الشنقيطى بدار الكتب، خلافاً غريباً جدًّا بين ما هو ثابت فيها جميعاً ، وما هو ثابت فى نسختى « المخطوطة » ، فكتبت يؤمئذ ما نصُّه :

« فى النسخ المطبوعة جملة وقعت فى المطبوعة الأوربية فى [ص ١٠،س٢ — ٥) وفى المصرية فى (ص ١٦،س ١٢ — ١٦) ، هى هذه :

١ —[فاقتصرنا فى هذه على فحول الشعراء الإسلاميين ، للاستغناء عن فحول شعراء الجاهليين بطبقاتى المؤلفة فى ذلك . ورتبت هذا المؤلّف على عشر طبقات ، كل طبقة تجمع أربعة من فحول شعراء الإسلام] .

وقد علق عليها يوسف هِلْ فى المستدرك [ص ١٩] ، وقال إنه يرى أنها مقحمةٌ فى هذا المكان ، من مقدمة « طبقات شعراء الإسلام » ، وقد أصاب فى أنها مقحمة ، ولكنها ليست مقحمة فحسبُ ، بل هى أيضاً ضعيفةُ البيان ، حتى إنى لأشكُّ فى أنها من كلام ابن سلامٍ جملة ، ويقابلها فى هذه المطبوعة (س ٢٤،س٧ — ٩) ما نصُّه :

[فاقتصرنا من الفحول المشهورين على أربعين شاعراً ، فألّفنا من تشابَهَ شعره مِنهم إلى نظرائه ، فوجدناهمُ عشر طبقاتٍ ، أربعة رهطٍ كل طبقة ، متكافئين معتدلين] .

ثم جاء فى (ص ١٥ س ، ٦ — ٩) من الأوربية ، و(ص٢٤، س ١٣ — ١٥) ما نصُّه:

٢ — [ثم اقتصرنا بعد الفحص والنظر ، والرواية عمّن مضى من أهل العلم،

على رهط أربعة من فحول شعراء الإسلام ، اجتمعوا على أنهم أشعر الإسلاميين طبقة ، ثم اختلفوا فيهم بعد] .

يقابلها فى نصنا هذا المطبوع (ص٤٩ ، س ٨/ص : ٥٠ ، س ١ ، ٢) ، ما نصه :

[ثم إنا اقتصرنا بعد الفحص والنظر والرواية عمن مضى من أهل العلم — إلى رهطٍ أربعة ، على أنهم أشعر العرب طبقةً ، ثم اختلفوا فيهم بعد] .

فأنت ترى أن قوله « على أنهم أشعر العرب طبقةً » فى نصِّنا هذا ، يقابله فى المطبوعة الأولى (المصرية والأوربية) : « من فحول شعراء الإسلام اجتمعوا على أنهم أشعر الإسلاميين طبقةً » ، والجملة فيما قبل ذلك وما بعده واحدة فى المطبوعة الأولى وفى نصّنا هذا . فأ كاد أقطَعُ بأن هذا التبديل ، جاء من الناسخ الأول للأصول التى طبع عنها يوسف هِلْ وحامد عجان الحديد الكتبى . فإنه لما رأى أنّ « طبقات فحول الجاهلية » مبتورةٌ بتراً فى نسخته ، ظنّ أن كلام ابن سلّام فى كتابه ، إنما هو عن « طبقات شعراء الإسلام » ، لأنّ الطبقة الأولى من الجاهليين لم يذكر فيها إلا شىء يسير من أخبار امرىء القيس والنابغة ، ولم يذكر فيها زهير والأعشى إلّا عرضاً . ثم بدأ الكلام بعد (ص١٩ من الأوربية ، ٣٢ من المصرية) فى خبر كعب بن زهير الذى مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم . فظنّ الناسخُ أن الكلامَ مقتصرٌ على طبقات الإسلاميين والمخضرمين ، فعجِلَ وبدّل وأقحم هذا الكلام الذى وضعه من عند نفسه ، وهو : « من فحول شعراء الإسلام ، اجتمعوا على أنهم أشعر الإسلاميين طبقة » ، أولجه مكان قوله فى نصنا : « على أنهم أشعر العرب طبقة » .

فإذا صحّ هذا ، وكأنى به صحيح ، فأظنّ أن الناسخ من أجل هذا السبب

نفسه ، فعل مثل ذلك ، فى الجملة السالفة التى استدرك عليها يوسف هِلْ ، فوضع كلاماً من عنده غير الذى كان فى الأصل الذى نسخ عنه » . انتهى .

فلما جاءتنى مصورة نسخة المدينة « م » ، رأيتُ فيها تصديق ماقلتُ قديماً . وإذَا بى أجد عابثاً جاهلاً اطَّلَع على المخطوطة ، فبعبثه وجهله ، أخذ القلم ، وضرب خطًّا على قوله : « من الفحول المشهورين على أربعين شاعراً ، فألَّفنا من تشابه شعرهُ منهم إلى نظرائه ، فوجدناهُمْ عشرَ طبقاتٍ ، كُلّ طبقةٍ مُتَكافِئُون معتدلون » ، وكتب فى الهامش بخطّه الحديث فى ظهر الورقة (٤) ، مانصّه :

« فى هذا على فحول الشعراء الإسلاميين لاستغناء (؟ ؟) عن فحول شعراء الجاهلية بطبقاتى المؤلفة فى ذلك . ورتبت هذا المؤلَّف على عشر طبقاتٍ تجمعُ أربعة من فحول شعراء الإسلام » .

ثم جاء هذا العابث الجاهلُ أيضاً فى ظهر الورقة (٦) إلى قول ابن سلام : « ثم اقتصرنا بعد الفحص والنظر والرواية عمن مضى من أهل العلم على رهطٍ أربعة ، اجتمعوا على أنهم أشعر العرب طبقة » ، فوضع بين « أربعة » ، و« اجتمعوا » علامة تخريج ، وكتب بينهما فى الهامش بخطه « من فحول شعراء الإسلام صح » ، ثم ضرب بالقلم على لفظ « العرب » وكتب فوقها « الإسلاميين » .

وهذا العبث وهذا الجهلُ وهذه الرَّكاكة ، هى التى فتحت ليوسف هِلْ باب التخليط ، ومَهّدتْ له أن يفترى على « العرب » وعلى « الكتب العربية القديمة » ماافترَى .

* * *

وأمر « المخضرمين » الذى أوهم هذا الجاهل العابث ، هو نفسه الذى حمل يوسف هِلْ من بعده ، على أن يظنّ أن ابن سلام عَدَل عن النهج الذى وضعه

لكتابه كما جاء فى مقدمته ، فاستبدل به طبقة أصحاب المراثى ، وطبقة شعراء القرى العربية ، وطبقة شعراء يهود .[1]

وصنيع ابن سلّام فى الطبقات ، دالٌّ على أنه يعدّ المخضرمين فى الجاهليين تارة وفى الإسلاميين تارة . ففى الطبقة الثانية (ص : ٨١) ذكر أوس بن حجر وبشر ابن أبى خازم ، وهما جاهليان لاشكّ فيهما ، مع كعب بن زهير والحطيئة ، وهما مخضرمان لاشك فيهما . والطبقة الثالثة كلّها مخضرمون . والطبقة الرابعة كلها جاهليون لا شك فيهم . والطبقة الخامسة فيها الجاهلى والمخضرم . والطبقة السادسة جاهليون كلهم . وهكذا إلى آخر الطبقات العشر ، لم يبالِ ابن سلام بالفَصْل بين الجاهلىّ والمخضرم ، كالذى انتشر بعد ذلك فى طريقة المتأخرين من الفصل بينهما.

وابن سلام لم يَعِد فى مقدمة كتابه بأن يذكر طبقات الجاهليين ، ثم طبقات المخضرمين ، ثم طبقات الإسلام ، بل كل ماقاله (ص ٢١) : « ففصَّلنا الشعراء من أهل الجاهلية والإسلام والمخضرمين ، فنزّلناهُمْ منازلهم ، واحتججنا لكل شاعر بما وجدنا له من حُجَّة ، وما قال فيه العلماء » . ثم قال بعده فى (ص ٢٣) : « فاقتصرنا من الفحول المشهورين على أربعين شاعراً ، فألفنا من تشابه شعرهُ منهم إلى نظرائه ، فوجدناهُمْ عشر طبقاتٍ ، أربعة رهط كل طبقة ، متكافئين معتدلين ». ثم قال أيضاً (ص : ٤٩) : « ثم إنّا اقتصرنا — بعد الفحص والنّظَر والرِّواية عمن مضى من أهل العلم — إلى رهط أربعة ، على أنهم أشعر العرب طبقةً ، ثم اختَلفوا فيهم بعدُ . وسنسوق فى اختلافهم واتِّفاقهم ، ونسمّى الأربعة ، ونذكر الحجَّة لكل واحد منهم » .

فهذا كلامٌ مطلقٌ لاحدَّ فيه ولا تعيين . والذى فى أيدينا من كتاب الطبقات ، وما نقل عنه الناقلون ، يدلُّ على أنّ ابن سلّام فرّق المخضرمين بين طبقات شعراء

---

(١) انظر ص : ٥٤

الجاهلية ، وطبقات شعراء الإسلام . فذكر فى الثالثة من الإسلاميين كعب بن جعيل ، ويقال إنه شهد الجاهلية ، وعمرو بن أحمر الباهلى ، وهو مخضرم لاشك فيه ، وسُحَيم بن وَثيل الرياحىّ ، وهو مخضرم أيضاً . وفى الطبقة الرابعة من الإسلاميين حُمَيد بن ثوْر ، وهو مخضرم أيضاً . وفى الخامسة أبا زُبَيد الطائى ، وهو مخضرم أيضاً . وفى السادسة من الإسلاميين ذكر بَشامة بن الغَدِير وقُرَاد ابن حَنَش ، وهما جاهليان فيما نعرفُ ، فلعلّ ابن سلّام عدّهما من المخضرمين لخبر بلغه عن إدراكهما الإسلام ، وإن لم يسلما . وفى التاسعة من الرُّجّاز الأغلب العجلىّ ، وهو مخضرم . وإذنْ فابن سلّام لم يكن يعدُّ المخضرمين طبقة قائمة بنفسها ، بل نزّل المخضرمين منازلهم ، من طبقات أهل الجاهلية وطبقات أهل الإسلام ، وألف من تشابه شعره منهم إلى نظرائه ، كما قال فيما نقلناه عنه آنفاً من مقدمته . فمن أجل ذلك وَضَعَ المخضرمين فى حيث رأى من طبقة شعرهم عنده : إمّا فى طبقتهم من أهل الجاهلية ، وإمّا فى طبقتهم من أهل الإسلام ، غير ناظرٍ إلى ترتيب تاريخ مولدهم أو تاريخ وفاتهم ، أو إلى تقدم متقدِّم ، وتأخّر متأخر .

وهذا الذى فعلَه ابن سلام أجودُ فى تاريخ الشّعر وتاريخ نقده ، من تقسيم المحدَثين الشعراء وَفْقَ الزّمن وتاريخ المولد والوَفاة . وإلغاؤُه « طبقة المخضرمين » وإدماجُها فى طِبقة الشعر نفسه ، دليلٌ على حُسْن بصر ابن سلّام بالنقد ، وجودة معرفته بالشعر ، ودليلٌ على أنه نهجَ لكتابه نهجاً يحتاجُ إلى دراسة دقيقة متقنة ، يُرْجَع فيها إلى طريقته التى سلكها فى وضع كُلّ أربعةٍ فى طبقة ، وزَعْمه أنهم « متكافئون معتدلون » . وهذا أمرٌ يتطلب إفاضة ليس هذا مكانها .

* * *

ولكن ههنا شىء ينبغى التنبُّه له ، وهو لفظ « طَبَقة » و« طَبَقات » ، الذى استعمله ابن سلام فى ثنايا كلامه ، ثم جعله عنواناً لكتابه . والذى لاشكّ فيه أن

هذا اللفظ من كلام العرب ، قد درج على ألْسِنتهم قديماً للدلالة على معانٍ مختلفة ، ولما جاء عصر التدوين صارَ له مجازٌ آخر عند المؤلِّفين والكاتبين ، حتى انتهى إلى زماننا هذا بمعنى مشهورٍ مألوفٍ . ومن الخطأ البيِّن ، تغافلنا عن هذه الحقيقة ونحن نقرأ نصًّا قديماً . بل أوّل ما يجب أن نحاوله هو تتبُّع أطوارِ معانى اللفظ ، واختلافِ هذه المعانى على تطاوُلِ السنين . وقد كنتُ أشرتُ قبلُ إلى معنًى من معانى « طَبَقة » ، يدلُّ عليه كلامُ ابن سلاّمٍ دِلالةً واضحةً ،[1] فقلت : « إنّ ابن سلاّمٍ عاد مرةً رابعةً فنظر فى شعر الأربعين من « الفحول » ، فانتهى فى تمييز شعرهم إلى عشرة ضروب أو مناهج سمّاها : طبقات » ، وإنما قُلْتُه استظهاراً من فَحْوى نصّ ابن سلاّمٍ ، ومن بيانه عن عمله فى تأليف كتابه .

ومادة (طبق) تؤُول أكثر معانيها فى لسان العربِ إلى تماثل شيئين ، إذا وضعت أحدهما على الآخر ساواهُ ، وكانا على حَذْوٍ واحدٍ ، فقيل منه : « تطابق الشيئانِ » ، إذا تساويا وتماثلا ، وسمّوا كُلَّ ما غطّى شيئاً « طَبَقاً » ، لأنه لا يغطّيه حتى يكون مساوياً له ، ثُمَّ لا يغطّيه حتى يكون فوقه ، فسمّوا مراتب الناس ومنازل بعضهم فوق بعض « طبقات » . ولما كانت كل مرتبة من المراتبَ لها حالٌ ومذهبٌ ، سمّوا الحال المميّزة نفسها « طبقة » ، فقالوا : « فلانٌ من الدُّنيا على طبقات شتّى » ، أى على أحوالٍ شتّى . وهذا المعنى أشدُّ وضوحاً فى حديثِ أبى سعيد الخُدْرىّ ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم[2] : « ألا إن بنى آدمَ خُلِقوا على طَبَقاتٍ شتّى ، منهم مَنْ يُولدُ مؤمناً ويحيَى مؤمناً ويموتُ مؤمناً ، ومنهم من يولدُ كافراً ويحيى كافراً ويموت كافراً ، ومنهم من يُولَدُ مؤمناً ويحيى مؤمناً ويموت كافراً ، ومنهم من يولد كافراً ويحيى كافراً ويموت مؤمناً » . وهذا إن شاء الله ، بيانٌ عن مذاهب

---

(١) انظر ص : ٢٥ ، تعليق : ١ .

(٢) مسند أحمد ٣ : ١٩ ، ٦١

الناس فى حياتهم ، لاعن مراتبهم ومنازلهم ، فلفظ « طبقة » فى هذا الحديث مجاز دالٌّ على مثل المعنى الذى ذهبتُ إليه فى تفسير نص ابن سَلَّام .

وقد وجدتُ هذا اللفظ فى خبرٍ ، على مجازٍ آخر ، تعينُ عليه اللُّغة . فقد روى القاضى ابن أبى يعلى فى « طبقات الحنابلة » ،[1] بإسناده إلى العباسِ بن محمد بن حاتمٍ الدُّورِىّ (١٨٥ ـ ٢٧١ هـ) ، أنه قال :

« انتهى علمُ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ستة نفرٍ من الصحابة رضى الله عنهم : عمر بن الخطَّاب ، وعلىّ بن أبى طالبٍ ، وعبد الله بن مسعودٍ ، وأبىُّ بن كعبٍ ، ومُعاذ بن جَبَلٍ ، فهؤلاء طَبَقَاتُ الفقهاء . وأما [طبقات] الرُّواةِ ، فستة نفرٍ : أبو هريرة ، وأنس ، وجابر عبد الله ، وعبد الله بن عمر ، وأبو سعيد الخُدْرِىّ ، وعائشة . وأما طبقات أصحاب الأخبار والقصص ، فستّة نفرٍ . . . وأمّا طبقاتُ التفسير ، فستة أيضاً . . . وأما طبقات خُزَّان العِلْم . . . وأما طبقات الحُفَّاظِ فستّةُ نفرٍ . . . »

وبيِّنٌ جدًّا أنه سَمَّى كُلَّ واحدٍ من الستّة « طَبَقَةً » ، وسمّى كل سِتّة نفرٍ جميعاً : إما « طبقات الفقهاء » وإما « طبقات الرواة » ، وإما « طبقات التفسير » ، إلى آخر ما سمَّى . وبيِّنٌ أنه يعنى بتسمية كُلٍّ واحدٍ منهم « طبقة » ، أنه رأسٌ متميِّزٌ فى الفقه أو الرواية أو التفسير أو الحفظ .

وصاحبُ هذا الخبر ، وهو العباس بن محمد الدورىّ ، قريب العهد من محمد ابن سلاّمٍ ، عاشا فى زمان مُتَقاربٍ ، وهو لم يُجْرِ هذا اللفظ على لسانه ، إلاّ ومعناهُ مألوف متداوَلٌ فى زمانهما ، دالٌّ على التميُّزِ فى بابٍ من الأبواب ، وعلى مذهبٍ

(١) طبقات الحنابلة ١ : ٢٣٨ ، ولم أنقل الخبر بتمامه ، وضعت مكان ماتركت نقطاً .

من المذاهب في الفقه أو التفسير أو الرواية ، يُعْرَف به صاحبُه . وقد وقفتُ طويلاً عند قول ابن سلاّم ، وهو من أغرب ما قرأتُ : « ثم إنا اقتصرنا — بعد الفحص والنظر والرواية — إلى رهطٍ أربعة ، عَلَى أنَّهم أشعر العرب طَبَقَةً ، ثم اختلفوا بعدُ » (ص : ٤٩)، فوجدتُه صَعْباً أن يفسّر قوله ههنا «طبَقة» بما يهجُم على الخاطِر مّما ألفناه نحنُ من معنى « طبقة » ، ولم أجدْ له إلا معنى واحداً ، كأنّه هو الذى يعنيه ابن سلام ، وهو أنهم أشعر العرب في مذهب من مذاهب الشعر ، أو في نهج من مناهجه ، أو في ضرب من ضروبه . ورأيت أن قول ابن سلام قبل ذلك (ص : ٢٤) : « فاقتصرنا من الفحول المشهورين على أربعين شاعراً ، فألّفنا مَن تشابَه شعرُهُ مِنهم إلى نظرائه ، فوجدناهُمْ عَشر طَبَقاتٍ ، أربعةُ رهطٍ كُلُّ طَبَقَة ، متكافئين معتدلين » ، فبدَا لِي أنّ معنى هذا : أن « التشابُه » هو أساس نظر ابن سَلام ، ولا يتشابه شاعران إلا في شيء واحدٍ ، هو مذهبهما في الشعر ، أو منهجُهما الذى يتميَّز به كل واحدٍ منهم ، ويكادُ يكون رأْساً فيه . فلما قال بعد ذلك « فوجدناهُمْ عشرَ طبقات » ، رأيتُهُ لايكادُ يكون لَهُ معنًى ، حتّى يكون معنى ذلك : فوجدناهم عَشرَ مذاهبَ ، أو عشر مناهج من مذاهب الشعر ومناهجه .

ومن أجل ذلك جاء ابن سلاّم في آخر كلامه عن تأليف كتابه فقال (ص ١: ٥): « وليس تَبدِئتنا أحدَهُم في الـكتابِ نحـكمٌ له ، ولابُدّ من مُبْتَدَأ » ، فاحترسَ ، ونبّه قارىء كتابه على أن تقديم شاعرٍ من الأربعة على صاحبه المُشَابِه مذهبُه لمذهبه ، ليس حُـكماً منه على تقديمه ، بل الأربعة جميعاً عندهُ متـكافئون معتدلون ، لأنّ كُلَّ واحدٍ منهم رأسٌ في مذهبه ومنهجه ، وإنما جمعهم فيما سمّاهُ « طبقة » ، لِماَ انتهى هو إليه بعد الفحص والنّظر ، من تشابُهِ مناهج هؤلاء الأربعة النُّظَراء . و« التشابُهُ » هنا ، عند ابن سلاّم ، لايعنى التّطابُق ، فهذا

باطلٌ لا يقبله العقل ، وإنما يعنى وجوهاً من الشبه بعينها فى المناهج مع اختلافٍ ظاهرٍ يتميّزُ به كُلٌّ واحدٍ منهم عن صاحبه ، وبهذا الاختلاف ، يكون كُلٌّ منهم رأساً فى هذا المذهب من مذاهب الشعر . ونَعَمْ ، لم يفسّر لنا ابن سلاّمٍ هذه المذاهب ، ولم يدلّنا على الأساس الذى بَنَى عليه ما ذهب إليه من تشابه المناهج ، وتركَ لنا نحنُ استخراجَ أسلوبه فى النَّظر ، حتى انتهى إلى ماانتهى إليه من تشابه هؤلاء الأربعة النظراء من الفحول فى مناهجهم ، وحمَّلنا نحن عِبْءَ النَّظر حتى نَعْرِف ماهى هذه « المناهج » العشرة من مناهج الشعر ، من خِلاَل قراءة أشعار هؤلاء الفحولِ .

ولكن ما أقطَعُ به هو أنّ ابن سلاّمٍ لم يُرِدْ بقوله « طبقة » ، مايهجم على الخاطر من معنى المرتبة ، أو المنزلة ، ولم يردْ ما أرادهُ غيرهُ فى زمانه وبعد زمانه فى كتبٍ ألفوها وسمّوها « الطبقات » ، وجعلوا « الطبقات » فئات مرتبة على أصول القبائل ، أو فئات مرتبة على منازل العلماء فى المدنِ ، أو فئات مرتبة على السنين . والنظرُ فى كتاب ابن سلام يردُّ هذا ردًّا صريحاً ، بتفريقه « المخضرمين » فى الطبقات ، وهم الذين توهّم يوسف هِلْ أن ابنَ سلام أراد أن يجعلهم « طبقة » ثم عَدَل ، إلى آخر ماقاله . وسيبقى أمر « كتاب طبقات فحول الشعراء » بعد ذلك محتاجاً إلى دراسةٍ وتفصيل وتتبّع ، وتفليةٍ وفِقْهٍ لأُصُول ابن سلام فى النظر ، ولأسُسه التى بنى عليها نقده فى الشعر ، وهو خليقٌ بأن تُبذَل فى دراسته الأعوام ، لأنه أقدمُ كتاب وصلَ إلينا من كتب قُدَماءِ نُقّادِ الأدب والشعر ، بل لعلّه طليعةُ كُتُب النَّقد فى الأدب العربىّ ، وهو حقيقٌ بهذه المَنْزِلة من التَّقديمِ والجلالِ .

* * *

٢ — ثم طبع « كتاب طبقات الشعراء » عدّة طبعاتٍ عَنْ طبعة يوسف هل ، وحامد عجان الحديد الكتبىّ . ثم أذنَ الله أن أطبع كتاب ابن سلام باسم

« طبقات فحول الشعراء »، وتولّت نشره دار المعارف سنة ١٩٥٢ مشكورةً. وقد قصصتُ قصة نسختي التي كنت نقلتها، وأنا يومئذ غِرٌّ لا علم له، عن « المخطوطة » قبل انتقالها إلى دار الغُرْبة، في مكتبة « تشستربتي »، ولم أكن أتممت نقلها كُلَّها. فمنْ هذا القدر الذي نقلتُه من « المخطوطة »، وما يتمّم الكتاب من طبعة يوسف هل وحامد عجان الحديد، طبعتُ كتاب « طبقات فحول الشعراء ».

وكنتُ أتوهَّم يومئذٍ، وأنا لا أشعر، أنّ الذي نقلته مطابقٌ كُلّ المطابقة لما في « المخطوطة » التي غاب عني أصلها. فلما جاءت مصورة « المخطوطة » وقابلتها بما طبعتُه في سنة ١٩٥٢، تبيّنَ لِي أنَّ نفسي غَرَّتني غروراً كبيراً، وأنِّي وقعتُ عند نسخها في أخطاء قبيحة، لغَرارتِي يومئذٍ وجَهلي. ونعم، قد صحّحتُ بعض هذه الأخطاء التي وقعت في نَسْخِي القديم، بما بذلته في مراجعة الكتاب على دواوين الشعر والأدب، ولكن قادتني بعضُ هذه الأخطاء إلى دُرُوبٍ مُوحشةٍ، تعثّرتُ فيها تعثُّراً لا يُغْتَفَر. ومن أجل هذا، فأنا لا أُحِلُّ لأحدٍ من أهل العِلْم، أن يعتمد بعد اليوم على هذه الطبعة الأولى من « طبقات فُحولِ الشعراء »، مخافةَ أن يقع بي في زَلَلٍ لاَ أرضاهُ له، وأضرع إلى كُلٍّ من نقل عن هذه الطبعة شيئاً في كتابٍ، سواء كان قد نسبه إليّ أو لم ينسبه، أن يراجعه على هذه الطبعة الجديدة من الطبقات، ليَنْفِي عن نفسه وعَمَله العَيْب الذي احتملتُ أنا وحدي وِزْرَهُ.

وقد نقد هذه الطبعة الأولى جماعة قليلةٌ من أهل العلم والفَضْل، أوّلهم أخي الأستاذ السيد أحمد صقر، ثم جاء أخي الأستاذ حمد الجاسر، فأرسلَ إليّ نقداً طويلاً، كي أنشرهُ في « مجلة الكتاب » التي كانت تصدر عن دار المعارف؛ ولكنّ رئيس التحرير استطال النقد، فرغب عن نشره مع إلحاحي عليه، فنشره الأستاذ الجليل في مجلته « اليمامة » بعد ذلك. وقد أصابَ الأستاذ حَمَد في جُلِّ ماقالَهُ، أو كلّه. ولما جاءت المخطوطة، كان أكثر ما قاله مطابقاً لما هو في

« المخطوطة » . وقد انتفعتُ فى هذه الطبعة بجميع ما أرشدنى إليه هو والأستاذ السيد صقر . ولا أستطيع أنْ أتجاوز هذا الموضع دون أن أذكر لكثير من أهل العلم والفضل ما أعانونى به فى تصحيح هذه الطبعة الجديدة ، أولهم أخى الأستاذ أحمد راتب النفاخ ، ثم أخى الدكتور شاكر الفحام . أمّا أخى الدكتور ناصر الدين الأسد ، فقد أفادنى قديمًا فوائد جَليلة ، ثم لما بدأت طبعَ الكتاب ، تولّى بكرمه قراءة الملازم بعدَ طبْعها ، ونبَّهنى إلى كثير من أخطاء الطباعة ، وإلى مواضع أخرى ذكرتها فى الاستدراك . والشُّكر لايحيطُ بفَضْل هؤلاء الكرام، ولكنّى لا أملِكُ لهم إلاّ الشُّكر والوفاء . وأمَّا خَطَّاط العَربيّة أخى الأستاذ الشاعر سيد إبراهيم ، فقد وَهَب كتاب ابن سلاّمٍ وفصولَهُ دِيباجَةً يترقرق فيها الجمالُ .

* * *

أمّا سيرتى فى العمل ، فقد آثرتُ أن لا أذكر فى المراجع إلاّ مالا غِنى عَنْه ، وكرهت أنْ أحشدَ عند كل مكانٍ مراجع كثيرة لاينتفع بها قارىء الكتاب انتفاعًا يذكر . وأمّا أهل العلم والتحقيق والتدقيق ، فهم أقدرُ منى على استيعاب ما يشاؤون من المراجع ، وهم لذلك فى غِنًى عن إدلالى عليهم بكثرة مراجعى وتنوّعها .

* * *

وآثرتُ أيضًا أنْ لا أدعَ كلمةً من شعر أو غيره ، تحيِّر قارئَه إذا وَقَع عليها، فحاولتُ أن أشرحَ له كل لفظٍ ، حتى يستغنى بما أمامه عن مراجعة المعاجم الكبيرة ، وهى عزيزة عليه فيما أعلم . وقد خالفتُ فى بعض شرحى للشعر ، بعض مايذهب إليه أئمتنا رضوان الله عليهم فى تفسيره ، ولم أبيّن ذلك فى كل مكانٍ . وقد ألحقت بآخر الكتاب بابًا أذكر فيه ما رأيتُه من اللغة غير مثبتٍ فى المعاجم ، وقد وقع لى بعض الاجتهاد فى مواضع من الشرح ، لم أنصَّ عليها ، لأن القارىء ليس محتاجًا

إلى النص على ذلك كبيرَ حاجةٍ ، وأمّا أهل العلم والتحقيق ، فأحسبهم قادرين على تمييزه ، وعلى استخراجه بالنظرةِ الخاطفة. فإن كان إحسانٌ فبتوفيقٍ من الله ، وإن كان زَلَلٌ فمن عجزى وقصورى .

* * *

وحَسْبِى الآن أنْ أخرج من هذا الكتاب كلّه لا علىَّ ولا لِى ، فإن كنت قد أسأتُ فى شىء ، فأرجو أن يتغمدَّه بالعفوِ مابذلتُ فيه من جُهْدٍ . وإن كنت قد أحسنتُ ، فإنى أعلمُ من تقصيرى وعجزى ما يَمْحو كلّ إحسانٍ . وأسألُ الله أن يجعل الكتاب نافعاً لطالب العِلْم ، معيناً له على طلبه ، مستحثًّا له على التزوُّدِ منه ، ﴿ ربَّنَا اغْفِرْ لنا ولإخْوَانِنَا الذين سَبَقُونَا بالإيمَانِ ولا تَجْعَلْ فى قلوبِنَا غِلاًّ لِلّذِينَ آمنوا ، ربَّنَا إنَّكَ رَءوفٌ رَحِيم ﴾ .

أبو فِهر

محمود محمد شاكر

الأربعاء : ٢١ من المحرم سنة ١٣٩٤

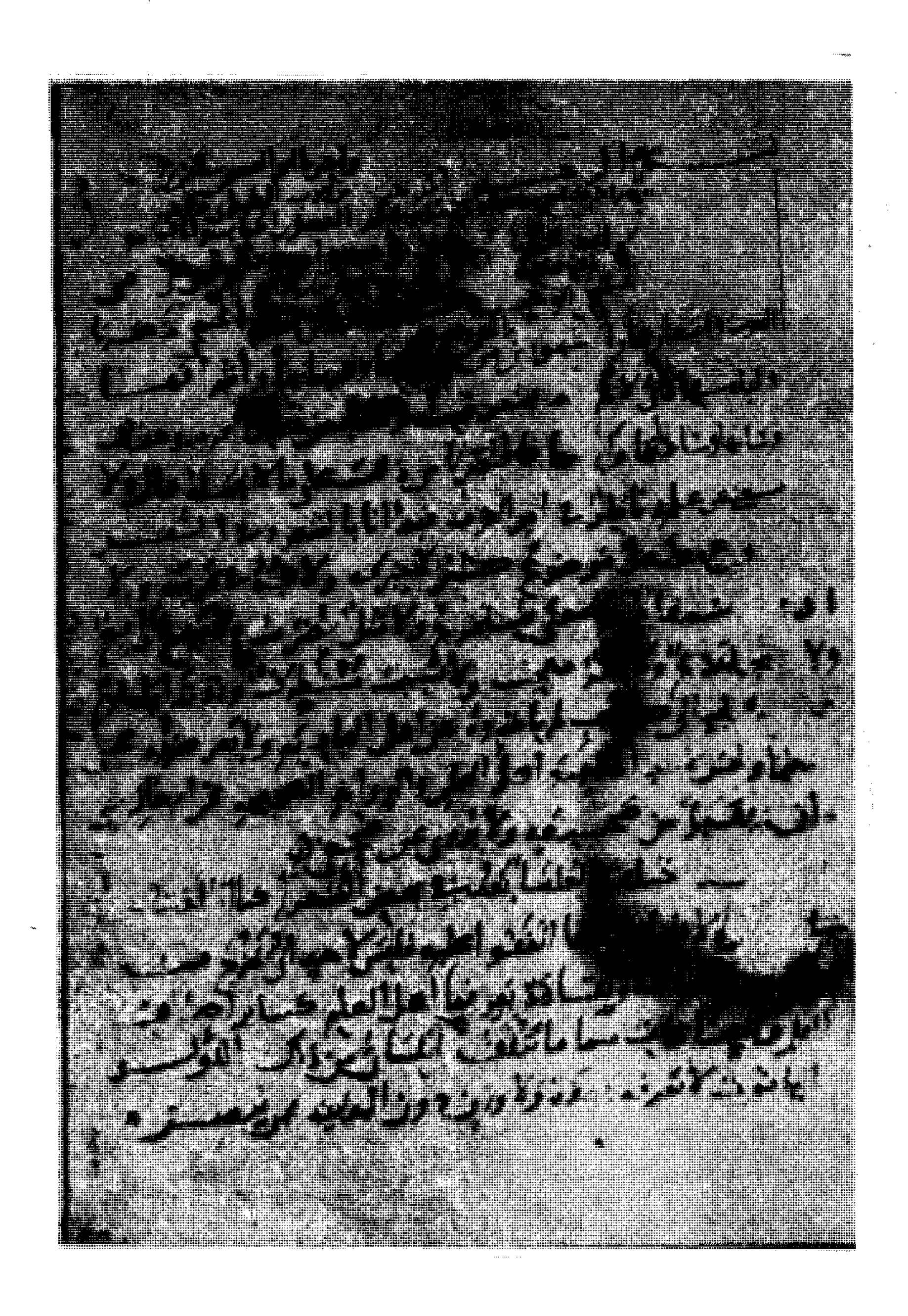
١٣ من فبراير سنة ١٩٧٤

تذكرة : إذا رأى بعض أهل العلم رأياً فى شىء مما ذكرت ، أو نقداً لما قلت أوفعلتُ ، فنشره فى صحيفة أو مجلة ، أو أحبّ أن يجعله فى رسالة خاصة ، فأرجو أن يرسله إلىّ بعنوانى : « مصر الجديدة ، شارع الشيخ حسين المرصفى / ٣ » ، وله منّى أجزل الشكرِ .

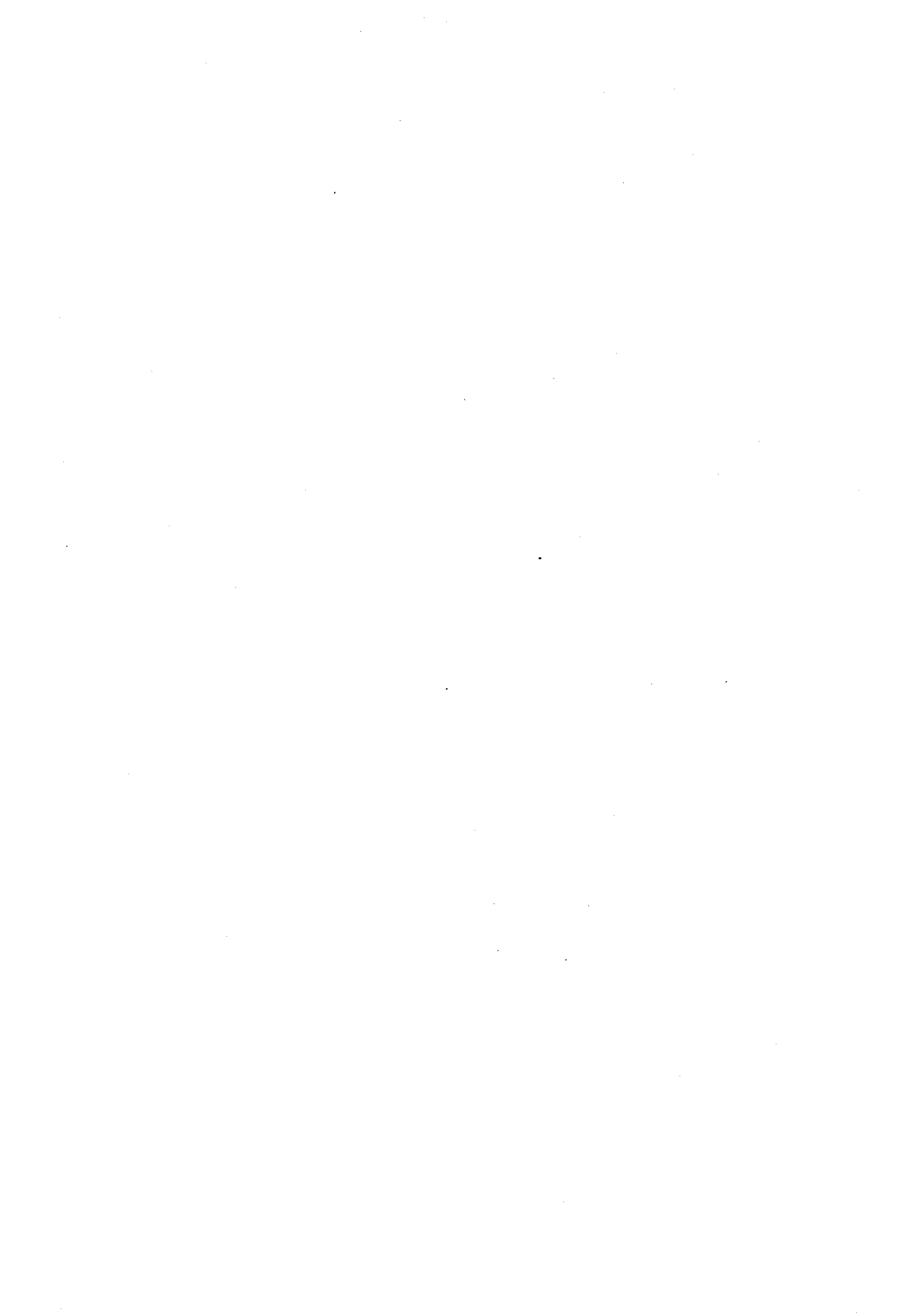


الورقة الأولى من مخطوطتنا ، وفيها عنوان الكتاب





الورقة الأولى ، وفيها أول الكتاب



وقد زعموا أن قد أملّ عليهما ثوائي وقولي [illegible] أربعا
ولست في الحي يوما وليلة يرابيع ما قد قلت صيفا ومربعا
يجود الهمي في الكرائب منكما وإن شئتما أن تتوابعه فامنعا

انقضى خبر العشر الطبقات

قال وصيّرنا أصحاب المراثي طبقة بعد العشر الطبقات أولهم متمم بن نويرة
بن جمرة بن شداد بن عبيد بن ثعلبة بن يربوع رثى أخاه مالكا ⁂ والخنساء
بنت عمرو بن الحرث بن الشريد بن رباح بن يقظة بن عصية بن خفاف بن امرئ القيس
بن بهثة رثت أخويها صخرا ومعاوية ⁂ وأعشى باهلة واسمه عامر بن الحرث
بن رباح بن عبد الله بن زيد بن عمرو بن سلامة بن ثعلبة بن وائل بن معن رثى المنتشر
بن وهب بن عجلان بن سلمة بن كراثة بن هلال بن عمرو بن سلامة بن ثعلبة
بن وائل بن معن ⁂ وكعب بن سعد بن عمرو بن عقبة أو عقبة بن عوف
بن رفاعة أحد بني سالم بن عبيد بن سعد بن جلان بن غنم بن غني بن أعصر
رثى أخاه مالك بن نويرة وكان قتله خالد بن الوليد بن المغيرة حين وجهه
أبو بكر رضي الله عنه إلى أهل الردة فمن الحديث ما جاء على وجهه ومنه ما ذهب
مشتبها علينا لاختلاف فيه وحديث مالك مما اختلف فيه فلم نقف منه على
ما نريد وقد سمعت فيه أقاويل شتى غير أن الذي استقر عندنا أن عمر أنكر
قتله وقام على خالد فيه وأغلظ له وأن أبا بكر صفح عن خالد وقبل تأوّله
وكان مالك رجلا شريفا فارسا شاعرا وكانت فيه خيلاء وله تقدّم
كان له جمة كبيرة وكان يقال له الجفول وقد قدم على النبي صلى الله عليه
وسلم فيمن قدم من أمثاله من العرب فولّاه صدقات قومه بني يربوع فلما قبض
النبي صلى الله عليه اضطرب فيها فلم يحمد أمره وفرّق ما في يديه من إبل الصدقة
فكلّمه الأقرع بن حابس المجاشعي والقعقاع بن معبد بن زرارة الدارمي

الورقة ٣٠ من مخطوطتنا



فقال معبد لمعبد كيف الحيلة قال تقول الاحوص ونغني فيها فـ

نعم فقال الاحوص

ألا لا تلمه اليوم أن يتبلدا — فقد غلب المحزون أن يتجلدا

إذا كنت عزهاة عن اللهو والصبا — فكن حجراً من يابس الصخر جلمدا

فما العيش إلا ما تلذ وتشتهي — وإن لام فيه ذو الشنان وفندا

فغنى فيه معبد ومالك فمررت البارحة به من حصار وهم يغنون بصوت [illegible] في هذا الصوت فلما غنته حبابة هذا الصوت قال العز الله مسلمة صدقت والله لا كيعهم ابدا ومن قوله ايضا

أمن آل سلمى الطارق المتأوب — ألم وبيني دون سلمى وحجب

تجوب اشباحاً إذا لم [illegible] — وبيد من هوى [illegible] المغيب

ويوماً بذي [illegible] ظلت مشوقاً العين — [illegible] من الدمع تسكب

ابنى لما [illegible] جلاب بن عامر — وقد يقذر الحي البعيد وتجلب

بأرض بأعينها الصديق وغالني — [illegible] الحي أجنب

وما هي من حاجة تركتها — [illegible] خشية الحي تعزب

أقامت ببيتين في [illegible] — لما قسمت [illegible] الجوار مذبذب

غريب [illegible] عن أرضه وسمائه — بنجبا وطول

ومن قوله ايضا

ألا يا دار هند بلا ذات ملح معاً

ظللت كأني معلول [illegible] هواكم

تموت تشوقاً طرباً وتحيا وأنت جوار

كأنك من تذكار أم حفص وحبل وصالها

صريع مدامة غلبت عليه تموت لها

وأنت من بلاد أم حفص سقيا بلدة الحل

أجل النعف من أحد وأدنى مساكنها

سلام الله ما مطرت عليها وكبر على

الورقة : ٩٦ من مخطوطتنا

رجينا ما تبسما نها فلما بدت منها الثنايا والطلوع ١٠٧

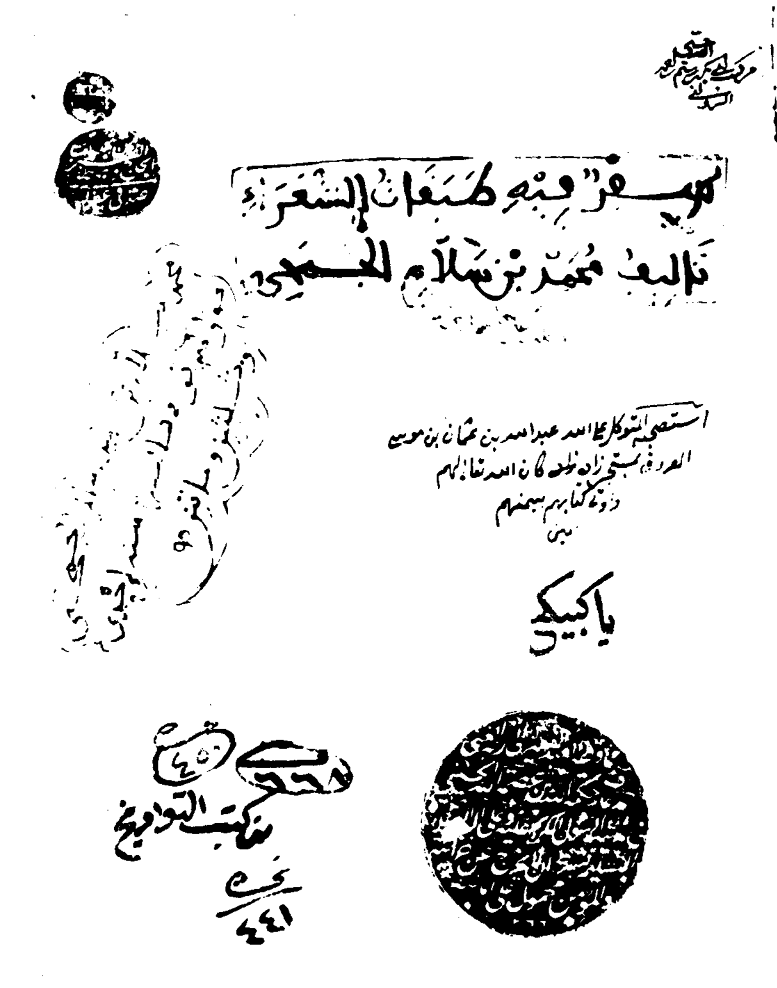
ضحينا ما البساط بمد رجات فعزنا الطليعة والطليع

تم كتاب طبقات الشعرا والحمد لله رب العالمين كثيرا مستوعدا

وصلى الله على محمد النبي وآله وسلم أولا وآخرا وحسبنا الله ونعم الوكيل

الورقة : ١١١ ، وهى آخر الكتاب





الورقة الأولى من مخطوطة المدينة « م »

والعلم بالعربية إذا اختلفت الرواة فقالوا بآرائهم وقالت العلماء بأهوائها
فلا يقنع الناس مع ذلك إلا الرواية عمن تقدم فاقتصرنا من الفحول المشهورين
على أربعين شاعرا فألفنا من تشابه شعره منهم إلى نظرائه فوجدناهم عشر
طبقات كل طبقة متكافئين معتدلين وكان الشعر في الجاهلية ديوان
علمهم ومنتهى حكمهم به يأخذون وإليه يصيرون قال ابن عون عن ابن سيرين
قال قال عمر بن الخطاب كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه فجاء
الإسلام فتشاغلت عنه العرب وتشاغلوا بالجهاد وغزو فارس والروم
ولهيت عن الشعر وروايته فلما كثر الإسلام وجاءت الفتوح واطمأنت
العرب بالأمصار راجعوا رواية الشعر فلم يؤولوا إلى ديوان مدون ولا كتاب
مكتوب وألفوا ذلك وقد هلك من العرب من هلك بالموت والقتل فحفظوا
أقل ذلك وذهب عليهم منه أكثره وقد كان عند النعمان بن المنذر منه
ديوان فيه أشعار الفحول وما مدح هو وأهل بيته به فصار ذلك إلى بني مروان
أو ما صار منه قال يونس بن حبيب قال أبو عمرو بن العلاء ما انتهى إليكم
مما قالت العرب إلا أقله ولو جاءكم وافرا لجاءكم علم وشعر كثير
ومما يدل على ذهاب العلم وسقوطه قلة ما بقي بأيدي الرواة المصححين لطرفة
وعبيد والذي صح لهما قصائد بقدر عشر وإن لم يكن لهما غيرهن فليس موضعهما
حيث وضعا من الشهرة والتقدمة وإن كان ما يروى من الغثاء لهما فليسا يستحقان
مكانهما على أفواه الرواة ونرى أن غيرهما قد سقط من كلامه كلام
كثير غير أن الذي نالهما من ذلك أكثر وكانا أقدم الفحول فلعل ذلك لذلك
فلما قل كلامهما حمل عليهما حمل كثير ولم يكن لأوائل العرب من الشعر
إلا الأبيات يقولها الرجل في حاجته وإنما قصدت القصائد وطول الشعر
على عهد عبد المطلب وهاشم بن عبد مناف وذلك يدل على إسقاط عاد

الورقة : ٦ من مخطوطة المدينة « م »

وقال في يوم أُحُد كلمةً فقال فيها

كلُّ عيشٍ ونعيمٍ زائلٌ ... وبناتُ الدهر يلعبن بكلّ

والعطيّات خساسٌ بيننا ... وسواءٌ قبرُ مثرٍ ومُقِلّ

ليتَ أشياخي ببدرٍ شهدوا ... جزعَ الخزرج من وقع الأسل

حين حكّت بقباءٍ بركَها ... واستحرّ القتلُ في عبد الأشل

فقتلنا الضعفَ من سادتهم ... وعدلنا ميلَ بدرٍ فاعتدل

نا ابن سلام قال زعم ابن جعدبة أنه سمع هشام بن عروة ينشد هذا الشعر وهو ليت أشياخي وقال لبني المغيرة بن عبد الله المخزومي وكان لهم بلاء في الجاهلية والإسلام سمعته ينشده

ألا لله قومٌ ولدت أختُ بني سهمِ ... هشامٌ وأبو عبد منافٍ مِدرهُ الخصمِ

وذو الرمحين أشبالٌ من القوة والحزمِ ... فهذان يذودان وذا من كثبٍ يرمي

وإن أحلف وبيتِ الله لم أحلف على إثمِ ... لما إن إخوةٌ بين قصور الروم والردمِ

بأزكى من بني ريطة أو أوزن في حلمِ ... هم يوم عكاظٍ منعوا الناس من الهزمِ

وكان الحارث يكنى بها وأبا عبد مناف الحارث وأبوه هشام بن المغيرة هاشم ابن المغيرة جد عمر بن الخطاب لأمه وذو الرمحين أبو ربيعة بن المغيرة أبو عبد الله وعياش ابني أبي ربيعة ثم إن ابن الزبعرى أسلم بعد وفتح النبي صلى الله عليه وسلم واعتذر إليه فقال وأحسن

يا رسولَ المليك إنّ لساني ... راتقٌ ما فتقتُ إذ أنا بورُ

إذ أجاري الشيطانَ في سنن الغيّ ... ومن مال ميلَه مثبورُ

آمن اللحمُ والعظامُ بما قلتَ ... فنفسي الفداء وأنت النذيرُ

وقال

منع الرقادَ بلابلٌ وهمومُ ... والليلُ معتلجُ الرواقِ بهيمُ

مما أتاني أنّ أحمدَ لامني ... فيه فبتُّ كأنني محمومُ

